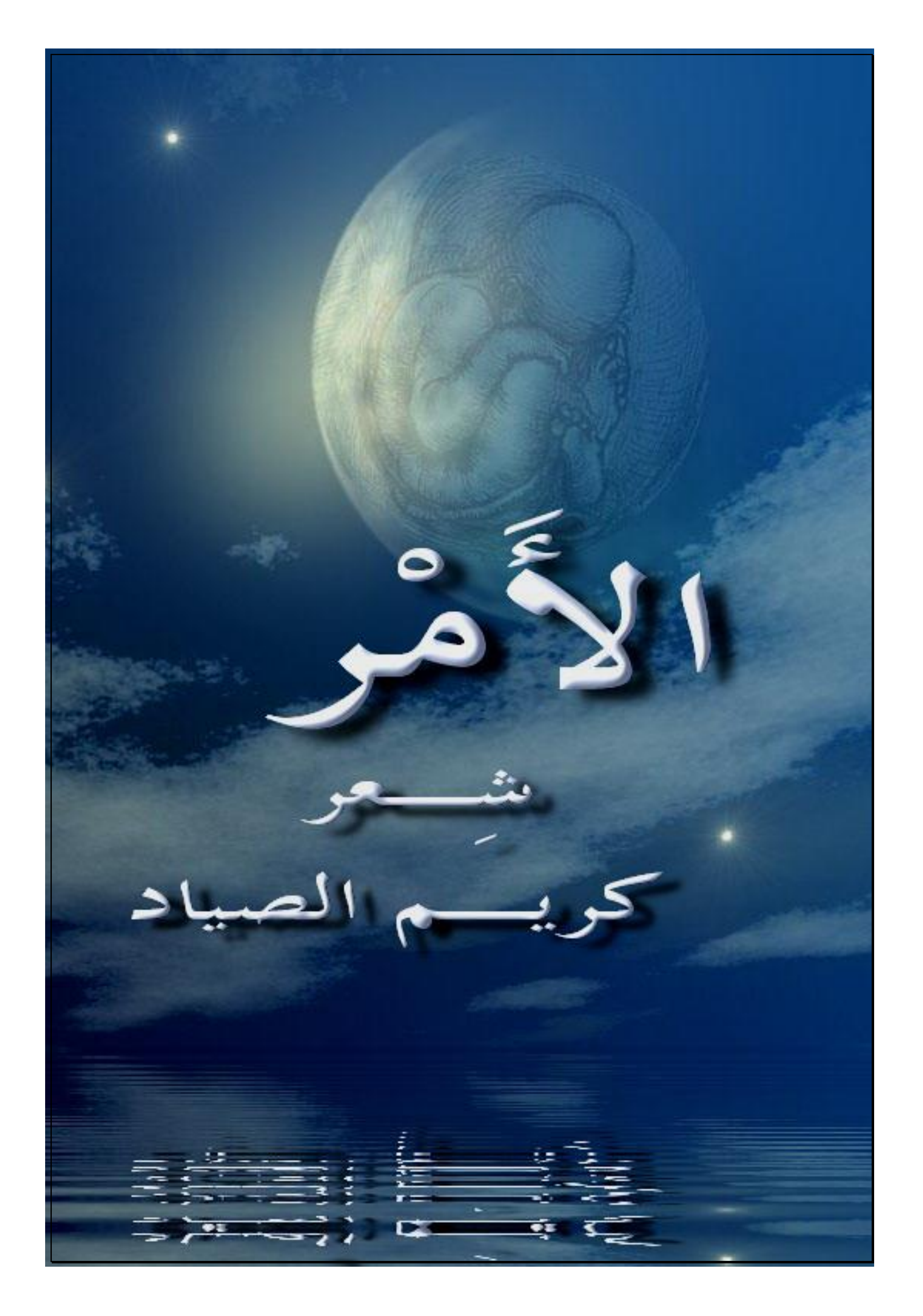


الأَمْر
شِعر
كريم الصياد

الأمر

شعر

كريم الصياد

الطبعة الأولى-القاهرة-2007

تصميم الغلاف: كريم الصياد

الأَمْر

شعر

كريم الصياد

إهداء . .

إلى صديقي..

خفق معي بلا أجنحة..

وهوىٰ بلا قرار..

وذاق طعم دمي.

كريم الصياد

(2007)

الفهرس

-I-

المقدمات

في الفجر عادت نار روحي تشتعلْ
بين الضلوعْ
وتسلقتْ فوق الفروعْ
ففتحتُ عيني كي أراني في ابتساري
كالجنين مُكسّرَ الأعضاء أنهض في انكساري،
ثم أترك راحتي في كف أمي..
تكتملْ.!

* * *

ضوء الضحىٰ
في فرْحه الذهبي يغطس في بحيرات الزجاجِ
على النوافذِ
يسبح الساعاتِ في بحر الشُّفوفِ
يشير للسحب التي سارت ببطءٍ كالخلودِ،
فأبصرتهُ وهْي تطرف جفن أعينها المطيرةِ
في مللْ

* * *

الظهر أشرق كوكبًا

يجري إلى الصالونِ

يلعب في نواحيهِ

يضيعْ

فوقفتُ أرمق صورتي،

أكملتُ -فيما أستطيعْ-

شكلَ الكيان المرتَجَلْ

وقبضتُ من أصص البراعم فوق إفريز النوافذ بعضَ طميٍ

كي أرتّق ما لحظتُ من الصدوعْ

* * *

الشمس عادت من نهارٍ يرتحلْ..

من يومه، أو بعض يومٍ يسكن الخط الرفيعْ

كان الظلام يدُقّ فوق زجاج نافذتي،

ويعلم أن أمي لم تعد حتى المساءِ من العملْ

فجلستُ في ركنٍ وحيدٍ في انتظاري،

واعتصاري

معدتي

تلك التي اعتادت لأمعائي مذاقًا لو أجوعْ

إني أجوعْ

* * *

كان الظلام يجوس في أركان بيتي في هدوءٍ مفتَعَلْ

ويدوس في خطواته العمياء ورْقَ أجندتي دون اكتراثْ

وأنا أفر وراءه من بين قطْعات الأثاثْ

وأجر سلك الهاتف الممتد من قلبي إلى باب الرجوعْ

وأظل أسبح في مداري،

وانحساري

ليت أمي من ممرات الخلودِ،

من الغياهب تتصلْ

يا ليت أمي تتصلْ.!

(فجر-ضحىٰ)

-II-

لا آلهة ولا بشر

1- سِفر التكوين

(مادّةٌ رَحِمية)

أمّي العذراءْ

لا تمشي فوق الأرضْ

أو تحت سماءْ

تعشق حبات النورْ

تخشىٰ الظلماءْ

والظل المقرورْ

وتحب الموسيقى الريفيةَ

بخشونة رقٍّ

وأنوثة نايْ

لا تؤمن بالآلهة أو الشيطانْ

لا تبصر من جنس الجنِّ

أو الإنسانْ

إلايْ.!

* * *

أمي العذراءْ

تحملني في الرحم كفكرهْ

ليست تلدُ

مهما طال الأبدُ

مهما أكد علماء الأحياءْ.!

* * *

أمي العذراءْ

هذي المرةَ أتكلم بصراحهْ

إني لا أتفهّم حركات الأفلاكْ

إني أكفر بالدورانْ

وأكفّر من يسألني عن كمّ الساعة دون حياءْ

وعن الآنْ

إن الساعات لديَّ

ليس لها ميناءْ

تشغلني المعركة المقدورة بين الكفر وبين الإيمانْ

فبنفسجة القلب المفطورة تتوقف كي تخطب في طرقات الأحلامْ

ترميني بالكفرْ

تهتف في الناس تطالب بالحكم عليّ

بالإعدامْ

ودليل مزاعمها صوت بكاءْ

يتدفق كي يملأ مجرى الهاتف حين تحدثني

إذ تسمعني في كل مكالمةٍ شخصًا آخرَ

تسألني إن كنت أنا حقًّا

أم أخطأتِ الليلةَ في ضرب الأرقامْ

صوت بكاءْ

يا أمي العذراءْ

قد صرتُ دهورًا، فمتى أتعلم أفعال الكينونةِ،

صيغ التعبير عن الحاضرِ،

ومتى أهبط من ليل الأرحامْ ؟

ومتى أهبط من جنة آدمَ

لحياة شقاءٍ وعراءْ ؟

* * *

تحملني لأصيرْ

وأنا طورًا طورًا في التحويرْ

أتأمل بشرًا لا يدرونْ

أن هناك شخوصًا مثلي

ليسوا آلهةً أو بشرًا

ليسوا أمواتًا أو أحياءْ

* * *

حطمتُ جميع مراياي

لم يبقَ بداري إلايْ

قد صار شخوصي عن ذاتي..

غرباءْ

* * *

ما جدوىٰ الأسماءْ ؟

* * *

الأبعادْ:

أرضٌ وسماءْ

ويمينٌ ويسارْ

وأمامٌ ووراءْ

وأنا أتحرك فيها بحوارْ

بين فناءٍ

وبقاءْ

هل أجرؤ كي أكسرْ ؟

هل أكسر كي أعبرْ ؟

هل أعبر كي أهبطْ ؟

وأخططْ

وأعود كيانًا يتحوّرْ

وأظل نبوءة مجهولٍ لا يظهرْ

في لوح الغيبِ،

وكُتُب الشِّعرِ،

ونشرات الأنباءْ

* * *

في طور التكوينْ

سأظل إلى الأبد أحدّث نفسي مدهوشًا

إذ أنظر في جسدي يوميًّا وأراني أتخلّقَ

بجديدٍ من أعضاءْ

* * *

أنتم كنتمْ

وأنا ما زلت أصيرْ

في طور التكوينْ

أنتم في الزمن الأرضيِّ

وأنا في الزمن الأولْ

وأنا للأبد جنينْ

وقصيدتيَ المحفوظة تحفظني في معملْ

أتألم من موجات الضوء المكسور على بلور القارورةِ،

أسبح في الفوْرْمالينْ !!

(ليل)

2- سِفر الخروج

(مادة أرضية)

كلٌّ يتحوّلْ

وثبوتك حالة تعقيمْ

حالة تعتيمْ

حالة تعليبٍ في معملْ

* * *

اليوم أخرج بالنبوءةِ،

أفسخ المنصوصَ في كل العقودْ

اليوم أمنحهم عيونًا لا يرون بها سوى عيني

تحدّق في التماعٍ

من بعيدٍ

في ثباتْ

وأثير فيهم رعبَهم من كل آتْ

وأصير مركز كل دورات الحياةِ،

أصير مركزيَ الوحيدْ

سيغلّقون عيونهمْ،

وكتابهمْ،

ويقطّعون صَلاتهمْ،

وسيسدلون ستائر النسيانِ دوني

في الصباحِ

ليقبروني

في المساءِ

ويذكروني بعد أوقات الفواتْ

وأفر من قبضاتهم، سأفر في مهد الوليد إذا نما في مهده مثل النباتْ

وأفر منهم كالوليدْ

* * *

كلٌّ يَتَأَوَّلْ

لا تضرب أسباعًا في أثمانْ

لا تستفتِ الإنسانْ

لا تسأل عن ماهيّة ما هو أولْ

* * *

لما رأوني خارجًا

متكونًا

مما تناثر من فتاتْ

الرعب فرّق ما تجمّع من حشودْ

وتوقفتْ أحجار رجمي في الوريدْ

فحملتُ أكثرها،

نظرتُ لصورتي في الماء تجمع ما تفرّق من بعيدْ

ورميتُ بالأحجار فاهتزتْ شتاتًا

في شتاتٍ

في شتاتْ.!

* * *

بين الناسخ والمنسوخْ

لا تحسب نفسك خالدْ

سنظل طوال العمر نكابد شبانًا،

ونكابدْ

ونموت شيوخْ

* * *

كانت سويعات الحياة تفر منهم في جنونْ

وتشوّهتْ أشكالهم في كل ماءْ

كانت غيوم نهاية الأشياء تلتهم السماءْ

وتقطّر المطر المسوَّد في العيونْ

فوقفتُ في شط العمى،

وخطوت في بحر البكاءْ

وأشرت للأعلىٰ

تدلىٰ

سوط برقٍ نافذٍ في كل قلبٍ

يُعشب الخوف المعتَّق من قرونْ

وكذلك النبأ الأخير يظل يقصف في السما،

وقفوا إليه ينظرونْ

فمضيت عنهم، في هدوءٍ أختفي

ورفعتُ ياقة معطفي،

ودسستُ كفّيّ المجمدتين في جيب الرداءْ.!

* * *

بين الأول والأولْ

أسمع صوت الساحرْ

أسمع صوت الآخِرْ

يتمادىٰ،

يتغلغلْ

* * *

كان البكاء عصارةً ممقوتةً من كل شيءْ

يطفو على سطح السكوتْ

وعيونهم من حولهم محرومةٌ من كل ضوءْ

وأنا أقهقه في الكآبة والكتابة والصلابة والثبوتْ

وعلى سبيل السخريهْ

خلّعتُ عينيّ اللتينْ

أعماهما لون الرمادْ

في كل عينْ

بهما قذفتُ عيونهمْ

بالنظرة المدهوشة الخرساءْ

من دون جفنْ

وضربت في الأستار نحو محابري

فتوسلوني للبقاءْ

واستحلفوني بالفناءْ

لكنني كنت اختفيتُ بخيط ليلٍ من ظلامٍ داهمٍ

وخيوط بيت العنكبوتْ

* * *

عيني تُفلت مني

تتحرر من رأس الإنسانْ

تتقافز فوق الأغصانْ

وتغني.!

* * *

عيناي قُوتْ

عيناي قوتْ

وستأكل النار المضيئة منهما في كل بيتْ

في الليل فوق الشمعدانْ

وتكون لي كل البيوتْ

كل البيوتْ

(غروب)

3-سِفر التثنية

(من صفحة الحوادث)

"في الرابعة تمامًا يتحدّب سقف الحجرة للأسفلِ فوق الطفل بلا أسبابٍ، يسكن لحظاتٍ والناس نيامٌ، والأبواب مغلّقةٌ، والصور معلّقةٌ، يتوقف ثانية سير الزمن المذهولُ، ويصمت قلب الأم المأهولُ، ويفتح عينيه الوالد دون مبررَ إلا وحيًا، أو تحقيقًا لنبوءة عرافٍ ما، أو قدرًا أزليًا مسطورًا، أو أيًا كان .

في الرابعة تمامًا نحنُ.. هوىٰ سقف الحجرة فوق الرأس الهش فأصدر صوتًا كهشيم قشور البيض، تحطم صدر فراش الموت ليحضن صدر الأرض، ويهوي قلب الأم وقلب الأب وانفتحت كل الأبواب، وسقطت كل الصور ورقصت كل الجدران بلا أثوابٍ، ليسود غبارٌ وصراخٌ ودمٌ مكتوبٌ وصريرٌ وبكاءٌ وعُصاب.

وبكىٰ الوالد محتجًا واحتضن بقايا من عظم الرأس، وبكت الأم ولثمت حفناتٍ من روح الطفل، وسطع البرق فبانت لهما سوءاتهما، خصفا من دمِ طفلهما لكن لم يكفِ الدمُ ثوبًا أو حتى كفنًا .

حتى جاءت سلطات الحيِّ، ورفعتْ جسم المقتول وغضبتْ

وكذا هبطا درجات البيت إلى دركات الشارع عريانين وحيدين، كذا صرّحت السلطات وحجبت عنا ما حجبتْ ."

(1)

في الرابعةْ

رأيتُ صفحة السماء الناصعةْ

ينساب في أعلىٰ سطورها حديثٌ أسودُ

في هيبة الشيطان يهوي، يرعدُ

هذي محابر الأقدار تنسكبْ

تثور، تغتربْ

ثم تقرُّ، تركدُ

وتنتفخْ

وتنمسخْ

فيولدُ

وينتسخْ

جنين كون الزوبعةْ

(2)

الناس ناموا، وامّحوا

حتى إذا ماتوا صحوا

قلبي إليهم منبلجْ

قلبي عليهم مختلجْ

مجرّحٌ، مجرّحُ.!

(3)

قلبي قبورٌ فارغهْ

قلبي قبورٌ مُفرِحهْ

مَن لو يشاءْ..

يأتي لكي أدفنه كجثةٍ مغسولةٍ وسائغهْ

قلبي قبور الفقراءْ

والطبقات الكادحهْ

ها قد أتاني أصدقائي مؤمنينْ

ها قد أتوا إليّ باسمينْ

آمين للأموات في برد العرا، آمينْ

والفاتحهْ.!

(4)

أنام خائفًا من السقوط خائفًا من ارتفاعْ

مندهشًا من الحضور والغيابْ

مرتعبًا من أن أموت دون لحظةٍ أخيرةٍ للانتحابْ

من أجل ذا تعلّمتْ أعصاب عينيّ النموّْ

لكي ترىٰ مباشرهْ

وأنبتت من عشبها في الما وراءْ

لذا فإني لا أرىٰ في حلُم العلوّْ

إلا ضياءً أو ضبابْ

إلا ضبابًا أو ضياءْ

(5)

لتأتينّك السماءْ

يا حالما

طوعًا وكرْهًا وبلا حياءْ

لا تفتح العينينْ

فلتنتظر..موعدها في الرابعهْ

في كل عينْ
ناديتها لكنها ليست تلبي ذا النداءْ
سوى لمرةٍ وحيدةٍ
في كل كونْ
وتترك الحنين والسنين والقلوب والبكاءْ
وتترك الأشلاء..والأحشاءْ

(6)
يؤلمني في الموتْ
عريي أمام الناظرين قبل تكفيني
لا ثوبَ يخفي عورتي
ولا الدماء تكفيني

(7)
يؤلمنا أحياءْ
خروجنا إلى عوالم العمىٰ والضوءْ
هبوطنا

وبؤسنا أمام رهبة اللا شيءْ

وسلطة الأشياءْ

وأحجياتْ

تفرقاتْ

وتثنياتْ

في رقعة البياض والسوادِ

في مدى سماءٍ دون ألوانٍ

وألوانٍ بلا سماءْ

تؤلمنا حياتنا بلا سماءْ

وموتنا بلا سماءْ

وضحْكنا بلا سماءْ

بكاؤنا بلا سماءْ

تؤلمنا السماءْ

لكي نفرّ دومًا من سماءٍ..

لسماءٍ..

لسماءْ.!

(من الصفحة العلمية)

"آن أوان وضع حدٍّ لاعتقاد القدماءْ، بشأن ما يدور حول نظرةٍ شاملةٍ للكون في الفيزياءْ، رأى القدامى أن كوننا وحيدٌ ممتلئ، تحكمه غائيةُ بلا حدوثٍ أو فناءْ، وجاء كون محدثُ يجري على خطّيْ زمانٍ ومكانٍ مطلقينْ، ينال بالقصور من غائية الكون القديمْ، وجاءت الطبائع المعاصرهْ، تقضي على أساس مطلق الطبيعة الحميمْ.

لكنه تبين اليومَ العظيمْ، أن الكيان العالمي مغلقٌ، وأنه كمثل بيت قائم له سقوفٌ بعضها من فوق بعضٍ فوقها جميعها سقف السماءْ، وسوف تهوي كلها .

وعندما تهوى السقوف واحدً فواحدًا فسوف يهوي فوقها السقف العظيمُ، كي يعود للعماء والغبار مطلقًا كونُ .

ستتسـقط السـقوف فوقنـا نيامًـا رافضـين قـابلين
ثـائرين صـاغرين لا مفـرَّ، يسـقط السـقفُ، فيسـقط
الجفنُ، فتسقط العينُ .

هذي نبوءة السقوط..إنني عليكمو أحنو."

(8)

"في الرابعة تمامًا نحنُ..."

(غروب–ليل)

4-سِفر أخبار الأيام الأولىٰ

(المهرّج)

ربّاهُ !! ها الشيطان بدّل سمْتهُ

في وضْح قارعة الطريقْ

لبس الثياب الزاهيات، قضىٰ النهار يلوّن الوجه المشوّه بالصباغِ

وظلهُ

يتطاول الساعات في..

سَفَر الشموس إلى مدائن غربة الغرب السحيقْ

ما كان يلمحه سوىٰ بعض الصغارِ،

توقفوا عن لعْبهم كي ينظروه بالعيون الزائغاتِ،

تشرنقتْ تفاحة الخوف المعلق في الحلوقْ

ورأىٰ الصغار فحرك الوجه الملون باسمًا،

لكنهم لم يبسموا، وتفرقوا، مثل انفراط حبوب نور المسبحهْ

في الدار كانت أمهم تحكي حكايات الطفولة علهمْ

يسلون بسمته التي جالت بشط خيالهم متشبحهْ

لكنها لم تدرِ أن قلوبهم من لعنة البسمات باتت في حطام البارحةْ

وتناسلت فيها شقوقْ

* * *

حين تدوّي من غرب الكون براكين الأفياءْ

حين تهاجر كل كواكب عصر اللؤلؤ وكواكب عصر العسجدْ

أتوقّدْ

حين يغشّي الليل دماءً،

ويغشّي لون دمِ الموتىٰ الأرضَ،

تغشّي الأرض سماءً،

وتنوح ذئابٌ ونساءْ

قبل هبوب الصور ومَوتي

وفناءْ..

أصوات الشعراء وصوتي

أُطلق آخر مزحةْ

فوق مسارح هذا الكون الهازلةِ

ألبس أحدث صيحةْ

من كل الأزياءْ

بسمتيَ اللعنةْ

تَحْرِف أسفار العين الوسِنةْ

لعنتيَ البسمةْ

تروي طحلب عفنٍ في حقل اللقمةْ

في كل إناءْ

* * *

أنا أول المتعوذينْ

من شر صبحٍ دنس الرحم المكينْ

من غيب ليلٍ زاحفٍ بين المرايا والنوافذ والفؤاد المستكينْ

متعوّذٌ بالرب من تيه المهارب والعناكب والمفاتح والسجونْ

ومجمّعٌ شط الخلايا

بالوصايا

من خطايا

السير في درب الشظايا

من محيط الروح بالروح الأمينْ

أنا أول الموتىٰ الذينْ..

أنا خاتمٌ في المرسلين مكفّنينْ

بين الصعالك والممالك والهوامش والمتونْ
أنا أولٌ في الذاهبين إلى صلاةٍ آخرٌ في العائدينْ

* * *

أسخرُ من شيءٍ
من شيئينْ
من كل الأشياءْ
والشمس الغاسقة العطشىٰ تشرب من دمع العينْ
والليلَ الرطب الأعضاءْ
أنظره في كورْنيش الكونْ
فتعال معي نتلحّف منه بالأغطية الرطبة والشفافهْ
كالماءْ !!
ولْنضحك كالسفهاءْ
ولْنهجر طرق السارين المكتئبين إلى نوبتجيات خلافَهْ
فمعي اسخرْ
اسخرْ
وتبخّرْ
في كل فضاءْ

واسخرْ

اسخرْ

وتخنجرْ

كفضاءٍ

في كل الأشياءْ

* * *

الشمس تشعل مقلتي

تغلي بحيرات الشموعْ

في ظلمتي

كي تنطفي

كل العناصر في الدموعْ

وحبيبتي تأبىٰ إلى الرحم الذي كنا نكون بليلِهِ تأبىٰ الرجوعْ

من قال بالتفريق والدم واحدٌ من طين آدم قد سرىٰ،

تمتصه فينا الجذور إلى الفروعْ ؟

أصغيرتي من قال ؟ من ؟

حتى يباعد بين أطرافي التي..

ليست تطول ثمارك الأنثىٰ التي..

لاحت على طرف الفروعِ

لكي أجوعَ

لكي أجوعْ ؟

لا تسكتي

لا تسكتي، إنْ تسكتي

فلسوف أسمع نبض قلبك حين كنا بعض مجهول الخلايا

في الخفايا

قبل تكوين القلوب النابضات لكي تفر بنبضها

من جوف قبضات الضلوعْ

* * *

أسكر في بار الأرواح السفلية كل صباحْ

أسكرُ

أخرجُ

يسندني

منكب قابيلٍ وذراع يهوذا

آكل من شجر التفاحْ

يسمنُ

يُنضجُ

لحمي الموقوذا

في كل الألواحْ

أسكرُ

أنضجُ

مسًّا وشذوذا

أنداحْ

عينًا تخرج من آيات التكويرِ،

وصيغ التسويرِ،

وأضحكُ،

يَضحكُ

من يهلكُ

إذ يسلكُ

بين سطور الإصحاحْ

فمعي اخرجْ

اخرجْ

وتبرّجْ

كشجيرات التفاحْ

واخرجْ

اخرجْ

وتحشرجْ

تفاحًا

في حلق الألواحْ.!

* * *

كنت الصغير اللاعبا

في ذات يومْ

والشمس تصعد في الصبا

فقاعةً

من كل يمٍّ

تتسلق الشجر المرفرف في الفضا

وعلى صحون عيوننا

تلقي لنا حبات كرْمْ

وكواكبا

لكنني أبصرتهُ

في ذات غيمْ

يستبدل الوجهَ المشوهَ بالخطيئةِ

يلبس الثوبَ المبرقشَ بالنبوءةِ

يرمق الظلَّ المعربدَ في البلاد المستضيئةِ

مُعجبا

فتشقق القلب الصغير بلعنة البَسْم، اقشعرَّ

تَغَرَّبا

في بحر دمّْ

وتكوّر البطنُ الوَضِيءُ،

تألق النجمان في وادي الملائكة الخبيءِ ،

تقاربا

فعرفت أن أخي سيأتي ذات حلمْ

الأرض تثمر كرةً أخرىٰ،

السماء تسير عرسَ كواكب البشرَىٰ،

وتسري موكبا

ظهر المشوه في المرايا كلها،

وتبسّم الشر المهيب بوجهه الزاهي الأشمّْ

ما زال يسكن في اللجين وفي الضمير كعهده،

فإذا التفتُّ لجانبي

ألفيته يرنو إليّ بصمته مترقبا

هذا أخي، فإذا يجيءُ

وجدتُ عينًا تستضيءُ

لهيب مقتٍ في المرايا، في الطريق، وفي الخيال، وكلَّ نومْ

هذا أخي، لكن ضوء الشر في الوجه المزخرف شق روحي في الظلام تسربا

هذا أخي، لكن حقدي نحوه وتَرٌ ينبّت في مسامعيَ الجذورَ

تلي الجذورَ

وليس يومًا يرتخي

هذا أخي

هذا القضا

هذا مسيري في طريقٍ دائمٍ قبل الزمان مؤرَّخِ

يتفرّع الكف المقرّح في الفضا

متصلبا

يهوِي يحقق ما حلُمْ

يهوِي ويمرق وامضا

هذا القضا

حتى اصطدمْ

حتى انقضىٰ

وتحسس الكف المدنّس ما حطمْ

وتمخلبا

ربّاهُ !!

مالك لا تميتنيَ انتقامًا كلما

لو جاء عزريلٌ مضىٰ

وأضعتني بمهامِهِ الأحزان أحمل جثةً قد أنشبت أعراقها

في الصلب تمتص الدما منّي

أنقّب في البلاد لعلني

أُهدَىٰ فأدفن جثةً هيَ مدفني

يتمْتني

غيبتني

أعميتني كي لا أرى ضوءًا سوىٰ

عينِ المشيطن يستبيح شعاعُها

قلبي

لكي ..

أبدًا لكي..

لا

تَغْرُبا.!

* * *

عيني شمسٌ تطلع فوق الأعرافْ

في ليل زفافْ

بين الأخت العذراءْ

المكنونة في رحم الأصدافْ

وأخيها الباقي يتولّدْ

في رحم نساءْ ..

أجناس الأسلافْ

إنّي لو أغمضها تتخدد أجفاني

تتخددْ

أبشرْ

أبشرْ

إنك مُنظَرْ

وتفرَّدْ لا..

تتكررْ لا..

تتكررْ !!

* * *

ويلي

وويلي من عَرا أعضاء جسمي النيِّئهْ

ويلي أنا لو لم أفرّ بجثتي من فوق أسوار الحروف القارئهْ

ما زلت أسمع في الدجىٰ صوت الفضاء المزدحمْ

نبض الفؤاد وقد سرىٰ في معصمي

نبض النهاية قائلًا: إني أموت بلا ألمْ

نبض النهاية في حياةٍ من جديدٍ بادئهْ

وأهلّةً حمراءَ من قمرٍ هَتُونٍ قد تمايل وانهدمْ

حتى يصير تشبُّحُ الشمس ادّكارًا وانكدارًا للنفوس المطفأهْ

فإذا الذي رعدًا تعالىٰ..وانهزمْ

وإذا الذي يومًا تشظّىٰ..وانحطمْ

وإذا المدنَّس قد بكىٰ

لو قد بكىٰ

حتى يغسِّل جسمهُ..

فإذا عدمْ

وإذا عدمْ

إني أنا من ليس حيًّا ناظرًا أيام ميلادي وأدري أنها

للانهاية مُرجأهْ

إني أنا مَن قد دعوت الله حتى يبرأهْ

ويلٌ لعين مشيطني

ويلٌ لها

ويلٌ لمصباح الظلال إذا عويتُ

وقد هويتُ

إذا ارتديت مخالبي

كي.أفقأَهْ

* * *

يجرحني

يجرحني الإنسانْ

يجرحني حين يفارقني

في منتصف الليلِ،

ومنتصف العمرِ،

ومنتصف الدربِ،

وقبل الطوفانْ

يجرحني بالندم الأعمى،

والخوف الأعمى،

والخفقان الأعمى،

والنسيانْ

يجرحني حين يحطمني،

كي يلقيَني،

في حُفَر القلب ويدفنني،

دون شواهدَ

أو يسكنني،

دون معالمَ

أو عنوانْ

يجرحني حين يداهمني

كالذكرىٰ،

كالوقتِ،

وكالليلِ،

وكالميلادِ،

وكالأمرِ،

وكالعصيانْ

مالك تجحدني؟

تخلعني عن ذاتك كرداءْ

تلقيني أرضًا كسماءْ

عيني الحية بالأمس اليوم ألاقيها تُلقىٰ في أشلاء الأشياءْ

وأعاود ذاتي كبكاءْ

وأعود أفارقها فسواءْ..

أبكي أولا أبكي

يقتلني حزني كالأحياءْ

ملعونٌ، إني..

ملعونٌ أنك حين تقابلني

تتجاهلني كالأخطاءْ

وأنا أشقىٰ كي تُرحم من طَرْقات الوقتِ،

وطَرْقات النحتِ،

وأسطح تاريخك تلك الحدباءْ

وأنا علمتك أن تخطئَ،

أن تخرجِ، أن تبرقَ،

في السحب، وتشرقَ،

أن تبدأَ

أن تنشأَ

حين تريد، وتنسىٰ

ما عُلِّمتَ من الأسماءْ

علمتك ألعاب الريح لتمرقَ من سم الإبرةِ،

أو تنفذ في جسمك كي تتساءلَ عن غربة هذي الأجزاءْ

ألفيتك مخلوقًا مكتئبًا

في منظوم التربيعِ،

ومنثور التشريعِ،

هبطتُ لتضحك، تضحك، كي تلمعَ

في كل خفاءْ

لكنك–بغباءْ-

تأبَى إلا أن تُصلب يوميًّا في لعنة أصفاد الكُتَّاب وأصفاد القرّاءْ!!

* * *

اللعنة ارتسمتْ دوائرَ حول عيني كالضياعْ

اللعنة ارتسمتْ دوائرها على نسلي المِشاعْ

اللعنة الإرث القديم المستديرة كالزمانْ

* * *

اللعنة كوني..

اللعنة (لنْ)ني..

اللعنة أني..

أخفتُ يومًا

يومًا، أخفتُ

أخفتُ

كالإنسانْ.!

(ليل عميق–ظهر)

5- سِفر أخبار الأيام الثانية

يفتُرُ الماء في مضغتي بالضياعْ

وحديَ الكونُ حَوْلِي يكونْ

ويكونْ

وأنا أتفتّحُ في الظلمات كمِثْل العيونْ

وتكونْ

لي..عيونْ

أنتشِي..

لي..عيونْ !!

يتفتّح بالنقشِ والضوءِ في كُتلتي الكونُ مثْلَ انطباعْ

أتكوّنُ بالكونِ أمْ يتكوّنُ..

هذا النزاعْ..

يعتريني عُضيًّا عُضيًّا من الماء حتى الشطوطِ،

من الضوءِ حتى شروق المِشاهِدِ،

من جفن عينٍ يُفتّحهُ النقشُ في الكتلِ الصامتاتِ،

ومن كل شيءٍ إلى أن يكونْ.!

* * *

على الشط أجلس في ثوب طفلٍ وثوب عجوزْ

وأنظر خلفي فلا طُرقاتٍ،

ولا خطواتٍ،

أنا لم أجئْ

وأنظر في البحر ذرًّا يثورُ،

ويعلو سفائن موجٍ تغورُ

ببحرٍ من العتمة اللا نهارَ لها

أو ليالِيَ،

يصفع في الصخر صمتَ لغات الحزوزْ

ويفقد وعيًا،

ووعيًا يحوزْ

ويدرك حلمًا محالًا،

وحلمًا..يجوزْ

ويطوي عبابًا بحجم انقباضة كفٍّ بحبٍّ بكفّْ

وحجم انقباضة قلبٍ بقلبٍ بخوفْ

فقلبٌ يُعاز وقلبٌ يعوزْ

ويأوىٰ إليّ من العالم المنطفئْ

جزيرةَ ضوءٍ،

جزيرةَ شيءٍ،

ويرسو

بمائي

ويحسو

دمائي

ويكسو

عظامي، ويغدو..

إنائي

وأنظر خلفي فلا طرقاتٍ،

ولا خطواتٍ

بماضيّ كي ألتجئْ

وأنظر في البحر حلمًا يكرُّ،

وحلمًا يمرُّ،

وحلمًا يصير ورائي

يصير بنائي

يصير بنا..

ها أنا

إنني من هنا لم أجئْ

إنني..

من هنا..

أبتدئْ !!

* * *

أحترقْ

أحترقْ

دون نارْ

أفترقْ

بالشقوق من السطح حتى القرارْ

الخلايا–الشِّبَاكْ

الشباكْ

أُحكمتْ، تكتم الروح كي أكتوي..

من هناكْ

لهناكْ

يرحل الماءِ من طينتي

من غبارْ

لغبارْ

أنسحقْ

أنمزقْ

من عراكْ

لعراكْ

أَرتشِقْ

داخلي علَّ جذرًا إلى الجوف يلمس ماءً

وراءَ

وراءَ

إلى ما وراء ابتدائي

إلى ما وراء ورائي

إلى ما وراء المدار الذي درتُ فيهِ،

وحولي رسمتُ المدارْ

أنغلقْ

كي أفر بأسفل جلدي،

أعد ثواني عمري القصارْ

يعتريني احمرار السما..

أنشفقْ

أنشفقْ

كرحيل النهارْ

وهبطتُ بعمقي اعتنقت قراري،

اعتنقتُ اندثاري،

اعتنقْ..

ذا الشفقْ

يستحيل فيوضًا،

يسيلُ،

ويمطر، يمطرُ

فوق شقوقي

وفوق جميع حقول الرمادْ

ذا دمي،

مرسمي،

لغتي في الجمادْ

يحفر الحقل مجرًى فمجرًى،

يسير..يعود..يدورُ

فدَوْرًا ودَوْرًا

كدَوْر الزمنْ

ليرتّق كل الصدوعْ

في أراضي الوطنْ

وأراضي الرقادْ

وأراضي حصاد الشيوعْ

وأنا أحتضنْ

كل قطر دمِي، وأنا..

أحتقنْ

في الضلوعْ

كالفؤادْ !!

* * *

دمائي تسافرْ

من القلبِ

للغربِ

دون شروقٍ،

بليل الطريقِ،

وفجر الطريق المجاورْ

وكل شهيقٍ يهاجرْ

ليفتح في كتلتي رئةً

في زمانٍ سحيقٍ

وغابرْ

دمائي جميعًا لو استُنزفتْ

لن تزيد على نصف كوبْ

وقلبي صغيرٌ

صغيرٌ

حميمٌ

كنبض القلوبْ

ومن كل نبضٍ لكل غروبْ

أبدّل ثوبي،

وأنمو،

وقلبي

يصب الغدائرْ

أفورُ،

وأصرخُ،

أدفن كل القبور بجسمي،

وأهدم كل المقابرْ

ونبضي جناحٌ خفوقٌ،

وغيبٌ طليقٌ،

وعوْدٌ يغادرْ

ويصرخ في جانبي ألف طائرْ

وسيل السهوبْ

يحطم سدًّا وسدًّا،

ويملأ بالرعد جوف السحابِ،

ويملأ بالغيب كل المحابرْ

فمَن أسكن الروح في قفصٍ من ضلوعْ

تعلّق من عنقي،

وتطوّح بين ذهاب رياح الشهيقِ،

وبين الرجوعْ ؟

تشعّبَ مثل انفتاحة كفٍّ تغوص لتقبض فوق القلوبْ
وتترك في سطح بحر الدماء اتساعَ الدوائرْ ؟

* * *

أتمدد في رحم الليل، أدفع كل جدارْ
أتلبّس أعضاء جسمي على مشجبٍ من عظامْ
وأصلي صلاة قيامْ
وصلاة قرارْ
بيضة العالم اتسعت، تحتويني
بليلاتها السرمدية دون نهارْ
فأنا كائنٌ من ظلامْ
وغبارْ
كلنا كائنٌ من ظلامْ
وغبارْ.!

* * *

وتدليت بالنضج من أفرع الهيكلِ
من دواليه أنضجُ
أنضجُ

في موسمي

حين أُقطَف أعرف أني إلى منبعي الأولِ..

لن أحن، سألبس ثوبي، وكل الثياب، وأسكن كل المدائنْ

لن أحن، ولكنْ..

دمي

ما يزال يحن لطعم الدما في فمي.!

* * *

سأعرف شيئًا يُسمّى نهارْ

سأعرف كيف أكونْ

سأعرف كيف استحالت إلى صورتي

بعد أمر السما

حفنةٌ من غبارْ

وأكون من الخالقينْ

سأعرف كيف أصيرُ،

وكيف أثورُ

على فطرتي

زمنًا

وأكون من الخارجينْ

سأعرف كيف أفر إذا لات حين فرارْ

سأعرف لو سقط السقف كيف أصير ضبابًا

يهيم مع الهائمينْ

سأعرف كيف وأغدو من الآمنينْ

سأعرف كيف أكونْ

سأعرف كيف أكون كما ينبغي أن أكونْ.!

* * *

النهارْ

النهارْ

هذه طَرفةٌ من عيون السماءْ

تفتح الهدب كي تستبيح نقوشُ العيون جفونَ الستارْ

كي تغوص وتصعد في موجةٍ من ضياءْ

نحو شط الظلال الزواحفْ

كنت أرفع عيني لأسند رأسي على دفء صدرٍ،

يظللني نصفُ ثوبٍ،

ونصفُ جديلهْ

من عرا أعين الغرباءْ

وابتسمتُ إلى أميَ، ابتسمتْ لحظةً بسمةً مستحيلهْ

فتجعّد سطح النهار، اقشعرّ، اقشعرّتْ

صرخَتْ

صرخَتْ

يدها..

يدها ارتجفتْ

لحظةً

فهويتُ، هويتُ،

أمدّ يدِي من ظلام المخاوفْ

كي تناولني يدها،

أو تدثرني برداءْ

فأرىٰ مخلبي تتقاطر منه الدماءْ

وأمد يديّ أُحيط بجسميَ من برد ريح الشتاءْ

لا ألامس غير صفوف حراشفْ

وحراشفْ

وحراشفْ !!

* * *

تدور الكواكبْ

وراء الستارْ

ويملأ ضوء الشموس جميع المساربْ

وراء الستارْ

وأمي تروحُ،

تجيءُ،

وترقبني من وراء الستارْ

أرى صدرها سلةً من قطوف الأماني

أراها ثواني

وليست تراني

وأجلس في وحدتي لأعدّ صعود المشارق في وقتها

وأعدّ المغاربْ

أقلّب وجهي المشوّهَ كل مساءٍ بوجه السماء فأخفضهُ

خجِلًا

باحتقارْ

وأسأل كيف لخلقةٍ احتبستْ في ستارٍ

وراء ستارٍ

وراء ستارْ

تريد اختراق الغياهبْ

وتحلم يومًا بحلم الفرارْ ؟؟!

(ليل)

6- السِّفر الناقص

(1)

علبة التلوين

(نورٌ) فتاةٌ ألتقيها في المساءْ

(نورٌ) أتت من بين صفحاتي،

ارتقتْ

فيما ارتقىٰ

وتغلغلت من بين طيات الغطاءْ

(نورٌ) خيوط مشمساتٌ رقرقتها في اللِقا

شمس الشتاءْ

(نورٌ) سحابٌ في الفَضا

قطرات ماءْ

(نورٌ) حديثٌ ما..مضىٰ

صوتٌ يفوح من الأعالي، يهبط الوديان مثل ضباب فجرٍ، ينتهي

دون ابتداءْ

ويمر بي وتَرٌ بِهِ..

فأقرّ في قلبي..تلاحقني عصورْ

(نورٌ) نداءْ

(نورٌ) نداءٌ قادمٌ من ألف سورْ

في رحلة الشمس الأخيرة في السماءْ

كي أدرك الضوء الأخيرْ

* * *

في انكسار الضِيا

فوق مائدتي

في انكساري لكي أُخفيا

نبرةً للحياءِ

بصوتي

أفتش عنكَ بكل كرستالةٍ،

وأُؤخر ساعاتيا،

وأؤجل موتي

أحس الرحيلَ،

وأسمع صافرةً للذهابِ،

وأذهب كل مكانٍ بلا ذكريات الإيابِ،

فأقبض فوق الخيوطِ،

وفوق الخطوطِ،

وفوق الصحافِ،

لكي أُفضيا

علني لو أقول على الصفحات أراكَ بصمتي

علني لو أراكْ

لو..

أراني سوايَ،

أراكَ سواكْ

تتجلى ليَ

وأرى الكون بيتي

أيا..

ليتني لوأراكَ..أيا..

ليتني

ليتني

أتذكر ما اسمكِ أنتِ

أأنتِ..؟

أيا..!

* * *

من تكونين يا طفلةً ضلت الطرقات جميعًا

فصارت طريقًا إليّْ ؟

طفلة فرّعت في الفؤاد الغصونْ

فرّعت كل شيّْ

نزوة حطمتْ ساعة للسنينْ

حطمتْها لكي لا أدورَ،

وكي لا تدور عليّْ

ريشة اللون ترسمني فوق سطح الحوائطِ،

ترسمني في حواف الصحونْ

ثم ترسم سحنتها فوق مرآتها بيديّْ

من تكونين ؟ منْ ؟

قد مضيت السبيل لأبحث عن لون عينيك في كل عينْ

وأسائل نفسي إذا كنت ما زلت أذكرهُ،

أم تآكلت الذكريات بطول المضيّْ

* * *

الكون أبيض مثل بطن سحابةٍ

سارت إلى طرف السماءِ،

تحدّرت في منحناها مثل قطرات الندى،

سقطت على كفي ببطءٍ،

واستدارت لي ببطئي

الرمل أبيض حين ترسو فوقه سفن الشطوطْ

والموت أبيض في أساطير السقوطْ

وأنا سواد محابر الأقدار أسكب كل شيئي

داخلي سفر التكوّن قد تهاوىٰ،

في المهاوَىٰ

قد تساوَىٰ

كل بدئي

مرَّ خيطٌ ثم خيطٌ في يدي ليغوص في مقل العيون لكي ترىٰ الكونَ المخيطْ

فإذا تشابكت الخطوط وأظلمتْ، يجتاحني ضوء الحنين لكل ضوئي

كي أمر بثورتي بين التشابك تاركًا أشلاء جسمي في السماءِ

معلقاتٍ

في الخيوطْ.!

* * *

الكون أحمر مثل نزفٍ داخليٍّ في النوايا

للخلايا

في رحيل الزائرين إلى فِناء الأضرحهْ

حتى يداروا سوأة الموت المؤقت في الجبينْ

كي لا يحينْ

لكنني وحدي أداري سوأتي وجميع آلام النوايا المبرحهْ

بين اخضرار غصون أشجارٍ مواسمها

تئون بلا زمانٍ

كلما ليست تئونْ

* * *

الكون أصفر في حقول الموت..وَ..

ريح المنية قد سرت خلف اتساعٍ،

وارتفاعٍ للصراخ وللصدىٰ

حتى هوَىٰ

في الأرض عرش للردىٰ

ثم استوَىٰ

الكون لما انداح يومًا وابتدا

لم ينتهِ

لم يشتهِ

أفقًا سوَىٰ

تكوير قطرات الندىٰ

حتى يصيرَ، ويغدوَ

دون انتهاءٍ، لو تلاشى الشيء منه تجسدا

فأيا هوَ

فأيا هوَ

هل لي بلون الطمي أنتظر القيامةَ موعدا ؟!

* * *

الكون أزرق في البحارِ،

وفي السماءِ،

وفي امتناع القلب عن دمه المعتق في قوارير الدماء المسكرهْ

قلبي إذا شرب الدماء ترنحا

واهتاج يطلب كل كأسٍ ضامرهْ

فإذا تردى الجسم في موت الليالي،

وامّحىٰ

عادت لتقلقني خطاه على سقوف المقبرهْ

قال الطبيب بأن قلبي لا يمارس مهنة النبض احتفاظًا بالعهود الغابرهْ

نبضت قلوبٌ ما مضت حتى تُجاوز ظلمةً حين المساءِ،

وتصبحا

إلا فؤادك قد هوى نزوات نبضٍ عابرهْ

حتى إذا جاء الردىٰ ضل الطريق بنبض قلبٍ سار في ذات الطريقِ ليُجرحا

بغصون أشجار الطريق المقفرهْ

لما جلستُ لزرقةٍ ماجت على سطح البحارِ،

وأبحرت فيّ السطوحُ إلى سماءٍ

في البعيدِ

مجاورهْ

أوحىٰ إليّ البحر وحيًا مالحا

" أوصيك خيرًا بالبنفسج كلما

عاد البنفسج للسما

وتفتحا !! "

فملأت داري بالبنفسجِ،

لهفتي

لهفُ البنفسج في الليالي المقمرهْ

وظللت أغدو في زماني رائحا

وظللت أغدو مُصبحا

في كل يومٍ بانيًا أمل الخلاص وهادما

وظللت أبصر رسمةً في كل منثورٍ تبعثر بين شقيّ الرحَىٰ

وظللت أُبحر في الدما

لكنني عبثًا أحاول فهم هاتيكِ الوصيةِ،

والبحار الثائرهْ

لأشد مقتًا عندها أن تمزحا

بعد السنين ذهبتُ صوب البحر أسأله السؤال فغيّما

غض الضباب السابحا

ثم استدار ولملما

أطراف لحيته عن الموج انصرافًا للغروبِ،

وظل بين جميع ألون الدُّنا

متراوِحا

حتى إذا احتجب الوجود وأظلما

هتف اندهاشًا: من درىٰ يومًا بحكمة أبحرٍ

تملا الوجود لتنزحا ؟

لكنْ..تعالَ وكن هنا..عند الغروب إذا تشاءْ

فلنا لقاءْ

كن لو تشاءْ

فلربما تزداد فهمًا في السنينَ المقبلات وفي المغاربِ

ربما.!

* * *

يا نورُ..لا..

لا تلعبي باللون حتى تبلغي سن الخلودْ

ولتتركي ببياض دفتريَ البياضَ الناصع الحر البعيدْ

ولتتركيني بالبعيدْ

متسربلا

لا ترسمي قفصًا لأطيار الشرودْ

لا ترسمي أرضًا ولا بحرًا ولا سحبًا تضيع ولا تعودْ

لا ترسمي من نقطةٍ خطًّا إلى..

نقطٍ تليها نقطة الخط الجديدْ

الخط فوق اللوح قسّم أرض أحواض الوجودْ

الخط غيبٌ عاصفٌ قد يحتويكِ،

ويعبر الأجواز فيكِ

بلا حدودْ

حتى يضل بكِ السبيلَ، يظل ما يأتي إذا امتد السبيلُ مظلَّلا

يا نورُ أَفضِي للسماء لتذكريني في الملا

يا نورُ إني أرفع الوجه المخبَّأ كلَّ آناء السجودْ

متململا

فدعيكِ من لونٍ يحيد عن الخلائق في الأراضي والسما،

أوْ لا يحيدْ

وتأملي فيّ الحيودْ

وتأمليني كلَّ معراجٍ إلى باب السما

متسائلا

فلتصحبيني للسماءْ

ولسوف أصحبك اهتداءً بالسماء إلى مكانٍ دافئٍ تحت الغطاءْ

يا طفلتي، لا تفزعي وقت السجودْ

لا تجزعي، بعض السجود لدى الصغار يقود أنفسنا إلى..

وإلى..

إلى...!

(ليل)

(2)

الأجراس

(1)

في حجرتي

كانت لحون الليل تسعى كالضبابْ

من مسمعاتٍ في ممرات الضمير الضيقهْ

كانت لياليَّ انسكابي في الشرابْ

كان انسكابْ

يملا شقوق البشرة الأخرى التي

ـفي حجرتيـ

كانت تُرى فوق الجدار معلقهْ.!

وحدي أنقّب في الخفاء عن الظهورِ،

وفي الظهور عن الغيابْ

فقط الدموع بلا انتحابْ

فقط الدموع تعيد للعين التي نظرت إلى غدها التماعاتِ الثقهْ

كان النهار يلُوح في أفق الليالي كالسرابْ

كنتُ السرابْ

أفقي لحونٌ في الهواء ممزقهْ

قطعَ اللحونَ الجرْسُ خلف الباب لما قرقعا

وتسارعا

وتفرّعا

في مسمعي مثل انفجارٍ للثواني الحارقهْ

كان اختناقي مشنقهْ

كان احتباس الروح روحًا غارقهْ

وأنا أحدّق نحو بابي بارتعابٍ

بارتعابٍ

بارتعابْ. !

(2)

جرْسُ المنبّهِ صار في قلبي يدُقّْ

وصحوت أكسو بالخلايا هيكلي

وبداخلي

الحلم يهوي ثم يبعد ثم يبعد في السما

حتى.يدِقّْ

ونفضت أغطيتي، نظرت من النوافذ كي أرى ليلًا يفر من الوجودِ المقفلِ

مِن فوقِ فوقْ

لكنني حين التفتُّ إلى المنبه صار في قلبي سكونٌ

في سكونٍ

في سكونٍ

قاتلِ

هل رن شيءٌ حين فارقتُ المِشاهد في المنام الآفلِ ؟

ماذا سرىٰ

في القلب برقًا تاركًا

شقًّا.. وشقّْ ؟

كان السؤال يلح لما رن جرسٌ في المنبه تاركًا قلبي يُهشِّم أسفلي

والنبض يأتي من عميقٍ

بعد عمقٍ

بعد عمقْ.!

(3)

في نبض ناقوس الكنيسة كان إعلان النهاية للحكايا السيئهْ

(كان الصباح يسير فوق الأرصفهْ

ويشيخ حتى القلب، يُحكم معطفَهْ..

حتى الرئهْ.!)

كان اللهيب إذا سمعتُ النبضَ يسري في الخلايا النيّئهْ

قال الصباح بغيمةٍ متكاثفهْ:

"هاك الكنائس أنذرت أحياءكم قبل ابتداء العاصفهْ

فحياتكم أقصوصةٌ أَلليل يعرفها إذا سطع النهارُ على رسوم الأغلفهْ

من دون أي مفاجأهْ"

أحسست قدرًا من سخفْ

حتى اختلفْ..

الضلع في الأضلاع يطعن كل غرفةٍ استُبيحت في الفؤاد مجوّفهْ

كان الصباح يدير لي من ظهره كل الشموس المرجَأهْ

ففتحتُ أبواب الغرفْ

وخرجتُ أجري خلفهُ،

والليل يجري في خطاه المطفَأهْ

أجري ويجري خلفيَ

أجري وتلحق لمسةٌ منه بيَ..

حتى انتصفْ.!

(4)

بعد انتصاف الليل جاء ملائكةْ

وأنا أُجَسَّد حول نفسي كالجنين وأنثني

وكبيرهم يستلني

من بين أغطية الشتا المتفككةْ

ويقول لي متململاً:

" بالطبع تعرفني

النذيرَ ببابكَ،

الجرسَ الذي في الفجر يوقظكَ،

الرنينَ من الكنائس لا وجود له سوى

حين احتضارات النفوس الموشِكةْ "

وسمعت صوت الجرس في إيقاع موتٍ مزمنٍ

فتباطأتْ خطوات قلبي في الطريق الشائكةْ

اللحن لما قرقعا

وتسارعا

يمتد حتى أعظمي..يحتلني

وتفرّعت نغماته المتشابكهْ

صحت: اصمتوا، فلتصمتوا،

لكنْ_وقبل الصمت_لا تنسوْا جميعًا

أنني....!

....................................!

(ليل)

(3)

تجسُّداتٌ نِصفية

(1)

هكذا..

كل يومٍ تضيع الصلهْ

بين ما كنت أوشك أن أفعلَهْ

وجميعِ الذي سوف أفعل حتمًا إذا..

كل ظلٍّ يعود إذا دارت الشمس دورتها كاملهْ

يتحرك حين يراني

بلا أغنياتي

بلا ممكناتي

بدون لساني

ويسقط فوق بياض الصحاف بقامته المائلهْ

ثم يقعد حيث مكاني

ويكتب سكتته الهائلهْ

ثم يهرب حين أراها وأنطق فيها المعاني

إذا جاءني اليوم سوف أقاوم رعبًا،

وطفلًا،

وشيخًا

بقلبي، إذا..

جاءني

سوف أقبضه في انشطار الثواني

وأنظر في عينه الذاهلهْ

ثم أفعل شيئًا رهيبًا

وأفعل شيئًا رهيبًا بهِ

هكذا..

هكذا..!

(2)

حجرةٌ،

مقعدٌ،

وفراغٌ،

على الخشبهْ

وفتاتي أمامي على المقعد التمعت بين ظلٍّ

وظلّْ

حين ملّْ..

مخرجُ العرض مهنتَه ذات صبحٍ مضىٰ ذات ليلْ

وتأمل ساعة ليلٍ عميقٍ،

عميق الفضا،

سكَبَهْ

ليسيل على كل أفْقٍ ومَيْلْ

لا أرى في الظلام الجماهيرَ،

لا شيء حتى أراه سوى مقعدٍ

في الفراغِ

عليه فتاتي

كشمسٍ تحدّق في غربها

فيَّ

مرتعبهْ

كان وجهي المحدِّقُ فيها يُشوَّه بالحزن حينًا وحينًا بهزلْ

وهْي تبعد، تبعد، تخفت منسحبهْ

فإذا جاء دوري اندفعت إليها،

وكان الجدارُ،

ومقعدها،

كل شيءٍ يذوب يقلّ، يقلّْ

كي يضيق الفؤاد بما رحبهْ

ثم كان الفراغ، وكان..وكان..

الفراغُ يبوح بما حجبَهْ

حين أبصرت شيئًا به، لم يكن هيَ..لا..

لم يكن هيَ..

بَلْ....!

(3)

قد وُلدت كثيرًا قبيل المجيءْ

أرتديني، وأصرخْ

أرتديني قليلًا لكي أتفسّخْ

وأعود إلى مقعدي بهدوءْ

أعرف الآن أني مملٌ ودَوري رديءْ

أعرف الآن أني أسير على السطح حيث تشرّخْ

كل هذا،

ولكنّ عذري بأني أسير إلى الأبدِ،

الآن أمشي ببرزخْ

لو وقعتُ به سأمزّق نفسي بشكلٍ بريءٍ

بريءٍ

بريءْ.!

(ليل)

7-سِفر الانعكاس

1- سطح الماء:

أمي العذراءْ

لا تمشي فوق الأرضْ

أو تحت سماءْ

تمشي فوق الماءْ

تحملني وتسيرْ

تحملني وتصيرْ..

طفلةً ابتعدت تمشي..

دون حذاءْ

تحملني لأصير نبيًا للأشياءْ

تحملني وتصير الأشياءُـــإلى أن آتيَـــ

دون مصيرْ !

2–مرآة:

أُولد عضوًا عضوَا

حين أجيءْ

لا آتي مثل البشر الظمأىٰ للتشييءْ

أعضائي تنشدني

حين أكون المأوَىٰ

آتي بهدوءْ

أتفتّح في ضوء الشمس كما النوار، وأُطوَىٰ..

في الطقس البارد حين يسوءْ

فانتظروني..

انتظروني أطلع مرئيًا، وخبيءْ

انتظروا قلبي الطفلَ الرخوَا

انتظروه لو أحمله بيدي، ألمسهُ..

فيضيءْ !

3–مرآة:

انتظروني حين أُؤوَّلْ

حين أُؤخر طور نشوئي

انتظروني لو ظل العالم يتبدلْ

دون مجيئي

انتظروني كي أتخللْ

بين جسومكم الظمأىٰ والروحْ

انتظروا صرخي المسفوحْ

حين أحطَّم، يسّاقط جسمي بهدوءٍ..

بهدوءٍ.!

4–سطح الماء:

أَغرق في الماءْ

معجزتي أني أغرق في الماءْ

ما جاء نبيٌّ إلا ومشىٰ فوق الماءْ

لكنْ معجزتي غرقي

غرقي حتى عنقي

ذوباني، ذوباني في عمقي

ليعود الماء شفيفًا بنقاءٍ..

بنقاءٍ..

بنقاءْ !

5-عين:

عيني تفلت مني

حين تشرّخ سقفي..

خوفي..

كان يفرقني، ويجمّعني

في عينَي أمي كنت أراها تُخفي..

نظرة حبٍّ

نظرة يأسٍ

في عيني !

6-صورةٌ طبق الأصل:

الشيطانْ

ينظرني في آخر كورنيش حياتي، يخفقْ..

حين يراني أتمزقْ

حين أمر من القضبانْ

حين يراني أتحققْ

خارج سجني، خارج هيكليَ المغلَقْ

لكنْ في أرضي بائسةِ الإنسانْ

حين يراني أتفرّقْ

في كل لسانْ

لا يقلقْ

لا يقلقْ

7-عين:

أتفتح في الظلمات كعيني، وأهاجرْ

يتفتح قلبي في بدء الأمر بخوفْ

في عينَي أمي كنت أراها تعمل في الصيفْ

لتدفّئ ما جمعتْ مني بشتاءٍ غابرْ

تصنعني من أعضاء الموتى،

أتراكم خلف الماءِ،

وخلف الشطِّ،

وخلف الخَلفْ

تشحذ عضوًا أو عضوينْ

كنت أراها تقسمني نصفينْ

وتُخبّئ قلبًا في نصفٍ

ونزيفًا في نصفْ

8-أصلٌ طبق الصورة:

الإنسانْ

يفزع حين يراني في آخر كورنيش حياتي أشرُقْ

يهرب في كل مكانْ

يهرب حين يراني أنبت شيطانيًا

كالأحزانْ

يصرخُ

يصرخُ

يُخفي سوأته بين الأغصانْ

حين يراني أتسلقْ..

حبلي السُّريَّ من الأرض إلى المطلَقْ

يجحظُ

يجحظُ

حتى تسقط في كفي عينانْ

حين يراني أتخلّقْ

أتخلّقْ.!

(ليل)

-III-

أيام القيامة

(1)

يوم القشعريرة

شاهَ وجهُ الطبيعة بعد المحاقْ

وتبعّجْ

وتشقق بالظل حين خطا

صاعدًا

درَج اللون حين تدرّجْ

كل فرعٍ بلا ورقٍ يتخلل بين ضلوع الصدورْ

كل نورْ

يتسرّب من بين فلْجات سطح المشاهد حين تفلّجْ

وانسحبتُ إلى المشهد المنطفي في السكون المثيرْ

لحظةً

كي أعود إلى عالمي،

من عوالم لوحةٍ اجتذبتني

من الجلد حين اقشعرَّ،

من الدمِ حين تثلّجْ

ثم أكملتُ سيريَ ثانيةً

شاردًا

في الرواقْ.!

* * *

في طريقي وجدتُ هلالًا تهاوَىٰ..

على الأفق المتعرّجْ

ودنوتُ، سمعتُ به صوت طقطقة الإحتراقْ

ورأيت خيوطًا من النور تهجر كل العيونِ،

تسافر فوق الطِّباقْ

خلع الشجر المتشابك كل ملابسهِ،

وتعوّجْ

وتفرّع في كل صدرٍ،

صرختُ

صرختُ

إذا الكون حولي تموّجْ

وتناثر قطر دم الإنس في سحنتي

لحظةَ الإرتشاقْ.!

* * *

في الذهول المريرْ

كنت أبصر مذبحة المشهد المستكين الأخيرْ

روحيَ احتبستْ داخلي،

أتحشرجْ

أتحشرج في رئتيَّ..

إلى الِاختناقْ.!

(2)

يوم العاصفة

بعد أن باد كل رجالٍ وكل نساءْ

كان برقٌ يثورُ،

يطيرُ

على جبهة الليلِ،

يُنبت شجْرته في الهواءْ

ويغورُ

ليضرب أصل الجذورِ،

يُرقرق خيط الدماءْ

ليسيل على سطح وجه السماء المقرّحْ

كنت أبصره خلف نافذتي،

ثم أمسحْ

عن سطوح الزجاج غمامة ماءْ

* * *

كنت ألتفّ في وحدتي،

جسدي عالمي،

مَعْلمي..

كل وجهٍ تجرَّحْ

* * *

كنت أقبع خلف شفافية الما وراءْ

خلف نافذتي، أتأمل صاعقةً مزّقت في الظلام الرداءْ

رقصتْ فوق كل المنازلْ

كلما أنزلتْ من غيوم السماء الزلازلْ

هُدمت أسقفٌ،

ثار غيم الترابِ،

وأصبحْ

كل بيتٍ

كشاهد مقبرةٍ للذين قضوا عمرهم يَكْنزون الدماءَ بجوف العروقِ،

وللفقراءْ

* * *

وما زال خلف الزجاج يغيم صفاء السماءْ

وما زلت أمسحْ.!

(3)

يوم التشقق

في الطريق المشققْ

كنت أمشي وأخلقْ

صرختي

ثم أطلقها للبعيدْ

فترفرف ثم تعود لصدري..

وترشَقْ.!

* * *

كل عيدْ

كان آخر عيدْ

ثم لم يبق غير لهيبٍ بقلب حطام المسا..

يترقرقْ

من بعيدْ

من بعيدْ

* * *

تتناسل كل الشقوقِ،

وتشنقْ

كل بيتٍ تعالىٰ على الأرضِ

ثم أبىٰ

أن يعودْ

حين حاولت إنقاذها..

رشق الشق في العظم والتف حول الوريدْ

صاح فيّ الجدار: أيا إنسُ غادر حطام المدائن والحقْ

غير أني التفت إليها،

أبيت سوىٰ أن أعودْ

* * *

وما زلت أسكنها قبل عمر الخلودْ

وما زلت من يومها..

أتشققْ.!

(4)

يوم الجنون

قلتُ أن الدماء على الأرض يومًا ستُسفَكْ

ويسود الجنونْ

قلت: يهرب من سار في الصبح من ظلهِ،

ثم يُدفن في الليلِ،

تأكله الأرض حتى العظامِ،

وتبقىٰ..عيونْ

تتقوقع في الصدف المتناثرِ،

يلهبها ملح بحرٍ تآكلَ شاطئُهُ،

وتَفكَّكْ

وهْي تنظر في الموج دون جفونْ

* * *

قلت: أبكي إذا نظرتْ لي،

وأجلس فوق الشطوطِ،

وأتركْ

كلَّ شيءٍ يحينْ

أتأملها، أتذكر مَن كان مَنْ،

أتذكر من لم يكنْ..

حين أوشَكْ

أتذكرها، وأظل رحيمًا بها،

لا أدوس عليها،

وأمنع نفسي من المشي فوق الشواطئ طفلًا

إذا عدتُ طفلًا،

وعدتُ من الذكريات بطفلي الدفينْ

* * *

كنت أعرف أن الظلال ستكشف يومًا حقيقتها،

حين فاجأت ظلي،

وشاهدتُهُ..

يتحركْ

كان يمشي معي،

ويناديني،

نتشاجرُ،

ثم يعود إليَّ،

أعود إليهِ،

ويمسح دمعي إذا كنت يومًا حزينًا،

أواسيه في رقةٍ لو يكون الحزينْ

ذات يومٍ-كعهدي-سئمتُ،

وحطمتُ

في داخلي كل شيءٍ..

وأدركْ

فتألم، ثم تلاشى بوقفتهِ..

في سكونْ

ثم عدتُ وحيدًا إلى شط عمري،

أرى كل يومٍ عيونًا جديدهْ

ثم يصفعني الموج حين يمل خلودَهْ

وتظل الشطوطُ..

شطوطًا أظل بآبادها أتهتكْ

وشطوطًا تظل بعيدهْ.!

(5)

يوم الغياب

في الطريق المفخَّخْ

كنت أمشي وأصرخْ

حين أبصرته ينتهي للمغيبْ

إذ صرختُ تزلزل من أسفلي..

وتشرّخْ

* * *

في مشاهد وقت الغروبْ

كنت أبصرهُ،

كنت أعرف أني سأكملهُ،

حين يرحل كل الذين معي..

حين كنت صغيرًا وأرسم لون الشفقْ

كنت أرسمه كيفما يتفقْ

ثم أسكب لون الدماءِ..

وأمسخْ

ثم أهوِي بسن القلمْ

كنت في ثورتي لا أحس الألمْ

ودمي يتسرّب من ورْقتي..

في الثقوبْ.!

* * *

ها أنا في الطريق أجر القدمْ

أنقسمْ..

حين أمشي على الماءِ،

أنسخْ

من مياه الخليقة وجهي المريبْ

سقطتي أنني قد غفرت لنفسي جميعَ الذنوبْ

حين جئت إلى ضَفة الأمرِ

في موعدي

أتسلّخْ

وغسلتُ ثيابي وجِلدي بماء الرحمْ

كنت في ثورتي أرتسمْ

وأعود إلى لوحتي،

ثم أسقط في أفْقها،

وأظلُّ..أغيبْ.!

(6)

يوم الظلام

قلتُ أن الظلام سيأتي،

ونبصرهُ من شروخ السما..

يتسرّبْ

ثم يقطر فوق البيوتْ

حين يأتي أموتْ

أتغرّبْ

كنت أول من قص للناس عنهُ،

وأول من أبصر الشرخَ،

أول من غاب فيهِ،

لينسج فوق الصحاف خيوطًا من العنكبوتْ

ثم يسدِلَ في آخر العرض ليلَ الستارِ..

على كل كوكبْ

* * *

لم أمتْ

كنت أول من قالَ،

أول من حين أبصره في السماء صمتْ

وترقّبْ

* * *

قلت للناس ثم تعلمتُ قلبَ جميع الكُروتْ

كنت أبصر سطح الزمان على ساعتي..

يتحدّبْ

فأقول جميع الذي أبتغي..

في سكوتْ

* * *

في سكوتْ..

أنبتَ الليلُ فوق الملامح خوفي،

وكفي..

تمخلبْ

* * *

لم أمتْ

صرتُ طيفًا وراء الستار تذبذبْ

وأنا سائرٌ خلف آثار من ماتَ،

أعرف أن خلوديَ أقربْ

في طريقيَ من أن أموتْ.!!

(ليل-فجر)

-IV-

ما بعد المحرقة

1_ مشاهدُ خارجية:

خروجٌ أول:

بعد رسم الحروف الأواخرْ

بقياسٍ صغيرْ

كنت أخرج من صفحتي،

وأعيد إلى الرأس عينيَّ،

ثم أعيد العروق إلى ساعديَّ،

أعلق قلبي على الصدرِ،

أضبطه ليعد حراك الكواكب حين تدور حواليَّ،

أوحين تسقط في صفحتي

وتثير الدوائرْ

الكسورْ

تتفرع كالشجر المتوحش فوق الزجاج المجاورْ

ثم يحملها الضوء كي تتفرع في مقلتي،

تتكسر عيني

ألملمها

في فتورْ

وأُجمّعها مثل لغزٍ على صفحتي،

ثم أفركها

تتناثرْ

في فتورْ.!

خروجٌ ثانٍ:

كل شيءٍ يدورْ

لو نزور المقابرْ

كل شيءٍ يعود إلى الأرض حين يغادرْ

ويغادرها لحظةً،

ثم يهوِي إليها ويقطع فيها العصورْ

كل شيءٍ على الأرض يأتي كزائرْ

يتصعّد من جوفها،

ويكافح –مثلي– ليولدَ

يوجدَ،

مثلي،

ومثلي يعود إلى أرضهِ،

ويظلُّ..

يغورْ.!

خروجٌ ثالثٌ:

الحريرْ

لغةٌ تتحدثني في بلاد اللغات الغريبهْ

لغةٌ لا تقول الكلام الكثيرْ

حين تمشي على لوحةٍ للوجود الكسورْ

سوف أعبرها في غرابهْ

ومعي في الحقيبهْ

كل ماءٍ أبىٰ أن يمر بمجراه تحت الجسورْ

خروجٌ رابع:

في استدارات شكل الجبالْ

أستديرْ

في ارتفاعاتها سوف أُلقي إلى الأرض ظلي

لكي أتخفف منهُ،

ومنّي،

ومن أثري في صعوديَ حين أزولُ، وحين أُزالْ
وأطيرْ

خروجٌ أخير:

بعد قوسٍ صغيرْ
كنت أخرج من عالمٍ بين قوسينْ
عالمٍ بين جفنٍ وجفنْ
يتمدد فوق السطورْ
فأراه قليلًا قليلًا
يكاد يغادر من صفحة العينْ
ثم يقبع فيها بركنْ
كنت أقبع في داخلي، وأعد الوجيب المثيرْ
وأنا أنزع الصفحة الماضيهْ
وأمزّقها فوق مقبرة البشر الخاليهْ
ثم أدفنهمْ،
وأكون الأخيرْ.!

2_ مشاهدُ داخلية:

1_ لا أحدْ
داخلي

2_ سرتُ في عمريَ الموغلِ
وائدًا ما اتقدْ

3_ قشرةٌ قد أحاطت بروحي،
أنا والفراغ بداخلها، وجروحي،
على منزَل الزمن المائلِ
نتحدْ

4- الفراغُ
الفراغُ بتجويفها يحتشدْ
فأذوب بهِ
أشتهي

أن أرى طرَفًا في امتداد الفضا الكاملِ

لا أجدْ

لا أجدْ

5- في المنام أرى كل بدءْ

فرأيت كأني وقفت لكي أتجسدْ

أتجمدْ

واقفًا للأبدْ

والجسدْ

يتخددْ

إذ هويت أخيرًا ترمّد عمريَ فيما ترمدْ

والشموس على بدني اجتمعت، قذفت كل ضوءْ

ونظرت بداخل جسمي المحطم في لحظةٍ

لحظةٍ.. تتبددْ

6_ لم أجد أي شيءْ

أي شيءْ.!

3_ هجرة الطيور:

عجيبٌ أنني وحدي

بكل مساءْ

أرىٰ عصفورةً حطت على إفريز نافذتي بكل صفاءْ

بكل صفاءْ

فتفزعني، فأفزعها

بلا قصدِ

وترحل، تختفي في الغيم، أتبعها

بلا جسدي

وحين أعود يوميًا أكذّب ذاتيَ الحمقاءْ

أرتّق سحنتي كغشاءْ

يداري الخوف في جلدي

وأهمس: لو غدًا أدخلتها بيتي،

فهل تدع الأثاث، وساعتي، كتبي، وأوراقي،

ومصباحي، وأقنعتي على مرآتيَ الشوهاءْ ؟

وهل ستطير ثانيةً لعمق الغيمِ،

أم ستظل في رأسي

تضج وتخفق المرات والمراتِ

ذاهبةً وعائدةً

بلا عددِ

بلا عددِ ؟!

* * *

يدور الطير فوق مدائن الموتىٰ

يطن، يئز، يخفق علها تصحو

وكنت أسير عكس الريح في الطرقات كي أمحو

خطىٰ الأموات من موتٍ

يلي موتا

رآني الطير، حلق في السما خوفًا،

وظل يطير من بُعدٍ

إلى بُعدٍ

إلى بُعدٍ.!

* * *

عجبتُ لأن مِن بَعدي

تزول خطاي من تلقاء أنفسها

عجبت لأن طيرًا ظل يصحبني، ويقفوها

يظللني

ويصرخ فيَّ

يفزعني

أحدّق فيهِ

مشدوها

عجبتُ لأنني وحدي

وسربي سار في الأبعاد يهجرها

إلى الأبدِ

إلى الأبدِ.!

4_ رقصةُ شِبْهِ السكون:

للأرض وجهٌ قد خلا

من كل إنسٍ كان يفسدُ،

كان يعبدُ

في الفؤاد النارَ،

يُهلك حين يعبر عمرَه الحرثَ الحزينْ

للأرض وجهٌ كان يبصر كل إنسٍ قد مشىٰ يومًا عليه مظللا

والآن يرقد في لفائفَ من غضونْ

الآن جِذرٌ صار يضرب في الجلود وتحتها،

والغصن يفرد عوده، ويراقص الأغصان رقصته التي التفّت بها الأشجارُ في شبه السكونْ

في الأفق لعناتي وطاويطٌ ترفّ على المقابرِ،

والمجازرِ

حين ألعنها وتلعنني إلى أبدٍ مضى متواصلا

لعْناتيَ السوداء حين وُلدتُ،

مِتُّ،

بُعثتُ من بين الغصونْ.!

5- طَفْوُ الأجساد:

في آخر الأيام من عمر السما المنكّسهْ

رأيت صفحة الدما المدنّسهْ

يطفو عليها إبن آدمٍ إلى شطوط غربهِ

منتفخًا بالطحلب النامي عليه كالرغيفْ

مغتربًا مثل الخريفْ

وشاحبًا كغيبهِ

مزدوجًا فوق السطوح العاكسهْ

عن موته تروي الطبيعةُ الأساطيرَ التي صدقتُها،

رويتها

عساه أن يخلع ثوبه الملوّن الشفيفْ

يخلع عينه، ولحمه، وضرسهُ،

وعظمه المكدّس السخيفْ

لكي يسير فوق ماء النهر حيًّا في الليالي القارسهْ

فلا تصيبه ارتعاشة الجسم الكثيفْ

لكنه أبىٰ، اكتفىٰ باليابسهْ

والآن بعد أن تهاوَىٰ

صار يطفو كالرغاوَىٰ

في النزيفْ

لعْناتيَ المقدسهْ

تحط فوقه إذا اكتفىٰ

طفا

اختفىٰ

في الأفق يرسو جسمهُ

إلى مصيره المخيفْ.!

6- باخعٌ نفسي على آثارهم:

من بعد أيام الهلاكْ

من بعد تمزيقي هنا

هناكْ

خلف الخطَىٰ

امتطَىٰ

ظلي انحنائي في الفراغْ

أحمله إذا تشظّىٰ من مسيري في الشموسِ

وانسلاخي من مدائن الشِّبَاكْ

وحين زاغْ

عرفت أن كل شمسٍ تنطفي

نظرت حولي بارتباكْ

وكل شيءٍ يختفي

تغلغل الظلام فيّ بانتهاكٍ

وانتهاكٍ

وانتهاكْ

من بين بشرتي ومعطفي

ولم أجد طريقهمْ

من أين مر الميتونَ كي أمرَّ،

كي أقرَّ في العرا

بلا حراكْ ؟

أم أنني..

أم أنني حيٌّ أداري جيفتي،

وخيفتي

من اكتشاف موقفي

أظل منسيًّا هنا

وموعدي..

هناكْ.!

(ليل–فجر)

-V-

نَفْخُ الغبار عن مُنكري الإعصار

1. درسٌ في التشريح الأخروي:

ما لكم لو تجيء قيامتكم قمتمو في تثاقلْ

ثم لملمتم العظم واللحم والإنكسارْ

وتحيرتم الآن في لغز تركيبكم..

بانبهارْ؟!

سأساعدكم كي تقوموا

وكي تُوقِفوا

حين تُستعرضون أمام جميع الخلائق تلك المهازلْ

سوف أمسح عن كل عظمٍ وعضوٍ قبورَ الغبارْ

ثم أُرجعه للذي يبحثُ الآن عنهُ..

بدون مقابلْ

سوف أعرف ما تنقص الأرض منكم،

أنا لست أنسى مكانًا دفنتُ به أحدًا،

لست أدفن شخصًا هنا دون إبقاء مقبرِه في التناولْ

لست أنسى هنا أحدًا مات في داخلي،

ونقشتُ اسمه في رغاوَىٰ البحارْ

فإليّ تعالوا..

فقط سجلوا كل أرقامكم وارجعوا للمنازلْ

ليس تخشون جنبَ الهواتف حتى ينادي المنادي..

سوى عفن الإنتظارْ.!

* * *

حين يُبعث شخصٌ ستلبس أعظمُه لحمَهُ،

ثم يصرخُ..

حين التداخلْ

تتفرع فيه الضلوعْ

وتُفرق فيه الطرائقَ،

تمرق فيها العروقُ،

تضيعْ

في المجاهلْ

ثم تُسكب فيها الدما والدموعْ

ثم يُعشِب في الظهر عظم السلاسلْ

تتفتح في صدره رئةٌ،

تتجوف أمعاؤهُ،

وتعود تُوصّل بين المخارج بين المداخلْ

فيجوعْ

ثم يبكي كطفلٍ،

وكما كان يبحث عن أمهِ

يبحث الآن في يومهِ

عن شفيعْ

ثم لو لم أكن شاعرًا..

لرسمتُ جميع المراحلْ

واكتشفت قوانين علم التطور في الآخرهْ

وشرحتُ دروسًا لطلاب كلية الطب–جامعة القاهرهْ

وركبتُ قطار الثراء السريعْ.!

* * *

كنت أُخرجهم من تراب القرارْ

حين أخرجتُ وجهي وفي فمهِ..

صرخة الإنتصارْ

حين أبصرني في التقابلْ

ثم ثرتُ..

فثارْ

حين ألقيته في المزابلْ

بانهيارْ

بانهيارْ.!!

2. يقرّ الغبار:

ظهرتْ سمٰوات القيامهْ

هرب الجميع إلى المنازل والمعابد يحتمون بكل سقفٍ

عندما

لاحت لهم

غارات أسراب الغمامْ

أثناء ذلك كنت أجلس كي أرىٰ نشرات أنباء المساء عن الحطامْ

وأرىٰ بتفصيلٍ نبوءاتي لعامٍ

بعد عامٍ

بعد عامْ

عن كل ما أبصرْتُه من بين ثغرات النظامْ

وأقلّب القنوات في لمس الأنامل كل عامٍ

بعد عامٍ

بعد عامٍ

في سآمهْ.!

* * *

ظهرت سمٰوات القيامهْ

وهمو على الشاشاتِ،

في الندواتِ،

في صحف التفاؤل والتحرّك للأمامْ

ينفون–ما زالوا–جميعَ مزاعمي،

ويعلّقون بجبهتي

في مشيتي

معهم

وفي سيري معاكسًا السهامْ

ورقَ الغرامهْ

حتى يبيعوا ما تراكم في المخازن من طعامْ

ويسوّقوا كلماتهم في سوق ميثاق السلامْ

ويعود كلٌّ بيتَه وينام في صدر امرأهْ

ويردد الأنفاس، يدفن في الرئهْ..

رأسَ النعامهْ

* * *

هذا الزمان زمان لوْ

وجميع ما أحلاه لوْ

وجميع ما يتلوه لوْ

هذي الكلاب تحدثتْ

قفزت لتملا في زمان الطفوِ، في زمن العلوِّ..

أذن العوامْ

من فوق صندوق القمامهْ

* * *

كانت سمٰواتي تئن من المجاعةِ،

ثم تنبض بالعواصف في الغمامهْ

فإذا انتهيت من القصيدة بالتمامْ

سقطتْ سقوفٌ تقبر الإنس المبدَّلَ،

والمخلخَلَ،

والمعدَّلَ،

في صرامهْ

تتوقف الكلمات في نصف الكلامْ

تتبعثر النظرات حين سأشتكي مما بكوني من دمامهْ

حتى يقر غبار أرض الموتِ،

يهدأ في عصور الكون وقتٌ للزحامْ

من ثم تخلو لي الزعامهْ

من ثم تخلو لي الزعامهْ.!

3. مدرسة الخَلْق:

لما هوت كل السقوفِ،

وأفرغت كل القلوب تدفُّقاتٍ من دماها

كانت سطوح جوامد الأشياء تَجْعَدُ في انكماشْ

وعيون كل الناس تقفز في اندهاشْ

تتحرر اليومَ العظيمَ من المحاجر في انتعاشْ

وعظامهم تحتج فيهمْ،

ثم تخرج من رداها

أحسستُ برد الروح فيهم عندما..

سافرتُ كالتظليل فوق ثيابهمْ

من بين طيات القماشْ

ورأيتهم يتساقطون على ظهور الأرضِ،

والأرض استساغت طعمهمْ

وتحرّقتْ في شهوة الأرض التي..

احترقت لتأكل ما سواها

أنذا أرى عظْماتهم بمِعَى الأراضين التي..

قبضت علي أطرافهمْ،

أنذا أراها

لو أُلقيتْ في القبر جثةُ واحدٍ

فَتحتْ بجوف القبر فاها

بلعته في شبقٍ لتنظر للذين بقوْا عليها..

في ارتعاشْ.!

* * *

ها هم أولئك يجمعون قليلهمْ،

يبنون بيتًا من هواجس الانقراضْ

صارت مخاوفهم كدين الغالبيةِ،

والأقليات مثلي لم يروْا لهمو إلٰها

نادىٰ عليّ دعاتهمْ،

فغضضت قلبي في انقباضْ

وأريتهم صورًا لوجهي حين شاها

من عسف منطقهم بكل مسلمات الإفتراضْ

لما رأوني هاربًا من كل سقفٍ ساقطٍ دون اكتراثٍ لا يُضاهَىٰ..

خرجوا من الأجساد لما رجرجتْهم في انتفاضٍ

وانتفاضٍ

وانتفاضْ

كانوا يضلون الطريقَ إليّ دومًا كلما..

صارت لعيني قدرةٌ..

أن تبصر الآفاق أوضحَ

في الطريقِ

إذا تماهَىٰ.!

* * *

أنتم أولئك سائرون إلى المصيرْ

وأنا أصيرْ

أنتم تظللكم سماءٌ ما عرفتم منتهاها

وأنا أطيرْ

وأرى بمرآة الصباح إذا وقفتُ لأربط الكْرافتَّ في لمس احترافٍ ما تلاها

مرآة صبحي لوحتي،

لو أنني أبصرتني..

لو أنني ما رقت لي..

لرسمتني

في كل تفصيلٍ شرارة عبقريٍّ كلما هدأتْ تثورْ

كي تخرق المعهود بعد مدارس الخَلْق القديمةِ،
لمعةٌ منها تصير لكل خلقٍ تقنياتٍ محدثاتٍ واتجاها
أنتم أولئك تهربون بلا مفرٍّ من سماءٍ آتيهْ
وأنا أهندم ملبسي،
وأمشّط الموجات في شَعري القصيرْ
قلقي تحول ساعةً
كي لا تؤخرَني الحياةُ لثانيهْ
عن..ملتقاها.!

4. مستعمَرة:

قلبي يلي

قلبي

يلي

قلبي

يليه العظمُ ثُمَّ..

الجلدُ ثُمَّ..

نسيجُ ثوبي

وتغلغلي

وتضاغطي وتخلخلي

في كل شيءٍ صار ينبت مثل عشْبِ

في حجرتي

ها كل شيءٍ صار شيئي،

كل كوبٍ–ساعةٍ–ورقٍ–وأقلامٍ–ومصباحٍ–وكتْبِ

أصبحت أُعشب في سطوح غرائب الأشياءِ،

والأشياءُ إن لم أنمُ فيها تنمُ فيَّ،

تُمدد التشييءَ حتى مقتلي

بالأمس حين طرقتُ باب صديقيَ اعتملتْ بصدري ذي الهواجسُ،

جاء صوت صديقيَ الملهوف: "إني لم أجدني

عد غدًا

فعسى أكون هنا بقربي"

لكنني حين انتظرتُ وجدتُني

-أنا ليس غيري-

خارجًا

أخطو لأنزل سلمًا،

وأُدير عيني في انتباهٍ للظلام النازلِ.!

* * *

كم من صديقٍ صار مثلي

كم من كيانٍ كان غيري صار عضوًا،

صار مرحلةً من التكوين بين مراحلي

كم صورةً لتماثلي ؟

أم أنني أنا صورةٌ ونسيتُ أصلي ؟

* * *

سأظل أنسخني

وأملأ بي النظامَ،

أكوّن المستعمراتِ بهِ،

أحير كل طب النفس فيَّ

بكثرتي، وتعقدي، وتداخلي

سأظل أربط في الطريق مفاصلي

بيني وظلّي

وأمد جسرًا بين كُلّي

-في الطريق لداخلي-

لحدود كُلّي..!

(ليل)

-VI-

حفريات الجنس البشري

(نصوص)

(1)

صعد السراج بحولِهِ

فقاعةً من بين نيران الحطبْ

وعلا رفيقًا في السحاب، وجال في أعطافِهِ، ومضىٰ

يغطيه الزغبْ

وتعلقت زغباته برداء ليلٍ كان ليلًا سرمدًا من قبلِهِ

ودخَان كوب الشاي يشهق في يدي

وأخي يحدق في اللهيب ليضطربْ

ها النار بعد النور ما عادت ترىٰ

كي تهديَ الإنسان، ما عادت تصوغ الصلب من صلصالِهِ

نادى أخي رفقاءه، جَمَع المجوس وعاد يجلسُ،

وارتقبْ

كان السراج يشعّ ثم يغيب ثم يشع ثم.. كأنهُ..

عين الإلٰه تطل لائمةً وتطرف من قذىٰ دخّان نيران الجميع المقتربْ

وظلالِهِ

وأخي يقوم محدّقًا، متحديًا، متسلّحًا..

بالحقد، والرفقاء، والقلب المحطم، واتساع العين في ظلماتها،

والأرض تشهق من سفور الجرم، خبأت السحاباتُ العيونَ،

عوت رياحٌ تنتحبْ

والعين تطرف ما تزال بحزنها،

وأخي يهم بفأسه، ويصيح بي: "هيا بنا"

فبسمت مدة لحظةٍ من قولِهِ

ومضيت عنه بلا سببْ

أكملت شايي في الطريق ولم أخلّف نظرةً،

أكملت سيري في الطريقِ إلى النهايةِ،

في النهايةِ

-قبل موتي-

سوف أبسم لحظةً

وبلا سببْ.!

(2)

هالني كل صوتٍ مميتْ

هالني كل ظلٍّ ترجّل عن بشرٍ ليحالف صمت الكسوفْ

كل ظلٍّ مخيفْ

كل صوتٍ يموتْ !

* * *

راقصات الشياطين يلعبن كل مساءْ

بقلوب الصغارْ

عازفاتٍ لحون الغيوبْ

سابحاتٍ بكل مدارْ

والصغار بجوف النساءْ

حلُمٌ يشتهيه الظلامْ

تشتهيه الصبايا

قبيل المنامْ

والدُمَى في صبا الصحو هن الصغارْ

كل دمية طفلٍ تخيفْ

كل دمية طفلٍ بأيدي الصبايا بدون قلوبْ !

* * *

بعد حفل المساءْ

تخلع الراقصات من الجلد كل العيونْ

ثم يلقينها فوق شط الغضونْ

ويغبن إذا طرفت في الصباح سماءْ

النساء تعلمن أن الخيانة في المحجرين فراغٌ،

وفي العين حمرة ملحٍ،

وفي الفجر كل رجالٍ يسيرون في الشط كي يجمعوا صَدفًا

سكنته عيونهمو في الهزيع الحزينْ

وأنا قد تعلمت أن العيون رداءْ

* * *

كنت طفلًا ألملم أصداف شط الصباحْ

كي ألملم كل صباحْ

ما أزال إلى الآن حين أفض حقائب ذكرىٰ الطفولةِ

كي أكمل الحلقات النواقص في السلسلهْ

أتقوقع في شط عمري بأصداف ذكرىٰ غدوّ البحارِ

وأصداف ذكرىٰ الرواحْ

تتفرّط كل السلاسل بين الأصابع في السنوات السدىٰ الموغلهْ

لا أرى غير تلك العيونْ

في الهزيع الحزينْ

في الحقائب جاحظةً، مرعبهْ

في الحوائط ذاهبةً، مقبلهْ

في الضمير مسافرةً، قاتلهْ

صاخبهْ

كالجراحْ !

* * *

كل عينٍ تخيفْ

كل عينٍ بأصداف ذكرى الطفولة نبع نزيفْ !

(3)

في الفؤاد رمالُ الصبا الكاذبهْ

تبتلعْ

كل ضرسٍ، وعظمٍ، ولحمٍ

بعهد الشباب انخلعْ

ورماه مشيب السمٰوات بالرمية الصائبهْ

ليغيبْ

في عمائق ذكرىٰ◌ٰ◌ٰ◌ٰ◌ٰ المجاعةِ

حتى الشبعْ.!

* * *

منذ أن دفن الغيم ذاك المسا كوكبَهْ

وأنا أفقد الكون عضوًا فعضوًا بأضواء لمحته الذاهبهْ

وأذوبْ

* * *

أميَ الراهبهْ

كل يومٍ تسائلني في المساء عن الموت حين يمل الخدعْ

فيصيبْ

ويحطم لله ما ركّبَهْ

فأتوبْ

وأقول لها أن قلبي أضاء لوجه إلٰه الردىٰ غيهبَهْ

غير إني

-لكوني-

بدون عظامْ

ولكوني بلا مشجبٍ كي أعلّق أعضاء جسمي عليه لبدء الصيامْ

ينحني الظهر مني

ولكنه في هوىٰ الوجه قَطْ

ما ركعْ.!

(4)

بصرف النظرْ

عن الشيءِ،

والضوءِ،

والمشهد المنتظَرْ

عن الموتِ،

والصحوِ،

والمقبر المنفجرْ

عن الفردِ،

والحشدِ،

والإجتماع بفطرة كل البشرْ

عن القلبِ،

والحبِّ،

والطير ذاك الذي دائمًا في سفرْ

فإن الفضاء تمامًا _ولا شيء فينا_ يكون القدرْ

* * *

بصرف النظرْ

عن المقطع المنقضي

أقول لكل قصيدةٍ احتشدت في الحلوق: ارفضي

واختنقي بالمعاني شهيقًا بتجويفةٍ في انقباضة طينٍ قذرْ

* * *

بصرف النظرْ

ببالوعة اللا مبالاة والطيش في الفتيات اللواتي يحمّلن صمت الرجال بما فوق ما يحتملْ

وبالوعةٍ في انفتاح القميص إلى الناهدين وفورهما فوق كل الصدور بما تعتملْ

وأخرى بأسفل كل الثياب موحّدةٍ لجميع النحَلْ

نكون أخيرًا أرحنا

استرحنا

فقدنا البصرْ

* * *

بصرف النظرْ

عن سطور القصيدْ

وما استغرقتْه كتابته من سهرْ

أقول بدون مزيدْ:

أيا ناظرًا لا تهم بصرف النظرْ

تعلمْ حقيقة أن جميع الذي يستحق مشاهدةً

سيظل _ومهما اقتربْتَ_بعيدًا

بعيدًا

بعيدْ.!

* * *

إنني أحتقرْ

كل مَن يفعل الموت فعلًا بصرف النظرْ

وبغض البصرْ

ودموع الشهيدْ

(5)

"حبيبتيَ الخالدهْ":

أناديك يا طفلتي مثلما اعتاد بتهوڤنُ المستميت نداءَ العدمْ

بذات احتمالاته للألمْ

وتنهيده بين نطق مقاطعها المجهَدهْ

حبيبتيَ الخالدهْ:

أناديك كي تطمئني إلى أنني سوف آتي غدًا وأنا أبتسمْ

ولن أستعيد مرارة طفلٍ يربّت فوق بروز الضلوعِ،

وفوق الدموعِ،

وفوق الغطاءِ

لكي يلتئمْ

ولن أستعيد انسكابة قطر السواد بذاك الصباح الذي لم تري مشهدَهْ

ولن أتذكر ليلة أن غام حلميَ، أيقظَني قبل ضوء الصباحِ،

وبعد انتصاري على كل أدويةٍ للأرقْ

سأعتاد عند قدومي ابتسامي، سأعتاده كلما نلتقي عند زاوية المفترَقْ

سأعتاده مثلما كان يعتاد بتهوڤن الإستماعَ لكل حماقات نقادهِ عن مذاق الجماهير في الفترة السائدهْ

ويعتاد صمت الصممْ.!

* * *

عشقت بعينيك دمعَ الطفولةِ،

حزنَ الطفولةِ،

تلك الطفولةَ في ضربات القَدمْ

على الأرض حين ألاقيك بالنظرة الشاردهْ

وحين تلاقينني بعد ما نختصمْ

تعودين في لحظةٍ واحدهْ

برغم جروح الجناحْ

ورغم سهادك بالحب حتى الصباحْ

ورغم أنوثتك الوافدهْ

صغيرةً احتشدت للشجار ولا ترتضي من جوابٍ على كل سؤلٍ

بغير نَعمْ

وأنفق ساعات درسي أفكّر في حجةٍ شاهدهْ

لكي تفهمي أن لو لا عزيف النشازِ،

وزيغ المجازِ،

وشيئًا بطبعٍ لهذي العوالم لا ينسجمْ

لكُنا وجدنا إجابة كل صدىً بعد كل صياحْ

تعود لنا..

تعود لنا واحدهْ.!

* * *

أحدّق قبل المنام بكفّي،

بوشم الخليقة والأوردهْ

أرى بقعةً بالسواد تغطي الأصابعَ،

أعصرُها في الطريق ظلامًا لمن سار بَعدي،

وبَعدي

ليالي القبورِ،

وليل الرحمْ

* * *

حبيبتيَ الخالدهْ:

ضعي كل ألوان ماكْياچك الموقَدهْ

فوجهك يبهت في القلب حين أفض بمُغلَقِه الصفحاتِ لكي يَرتسمْ

(6)

حين مِتّْ

كنت أحلم في رقدتي بالحياةِ

إلى أن سمعتُ رنين الزمنْ

وصحوت، مَزَقت عن العين نسج قناع الكفنْ

وفتحت الجفون، وجدت رقادي بحجرة نومٍ،

وغرفة صمتْ

لا أحدْ

وتساءلت عمن أتى بي هنا،

أو أتى بالجسدْ

وانتظرتْ

لا أحدْ

ثم رحت أفك اللفائف عن جثتي هادئًا

هادئًا.!

* * *

حين جلت بعيني لأملأ كل الفراغ المصاحِبْ

لسعتنيَ شمس الظهيرة حين فتحت النوافذ حتى تزول رياح العطنْ

وارتديت ثيابًا على مشجبٍ، ما تزال عليها دوالي الثمنْ

واندهشت لأني وجدت قياس جميع الثيابِ

تمامًا

قياسي المناسبْ !

وغسلت غشاء الوسنْ

وخرجتْ.!

* * *

للمدىٰ تحت صهد الظهيرة سار طريقٌ طويلٌ..طويلْ

وسرابٌ من الماء يروي ثمارَ الشجنْ

وألوفٌ من الناس في جانبيه تغطي العيون بكفٍّ وكفٍّ وظلٍّ ضئيلٍ..ضئيلْ

فاعتراني الذهولْ !!

وسألتْ:

- ما الذي تنظرونْ ؟

- ليتنا نعرف الآن بعد انقضاءِ السنينْ

كلنا قد صحونا وجدنا الطريقَ

مشينا بهِ

وهْو لا ينتهي

وشموس الظهيرة دون شروقٍ ودون غروبٍ ولا تنتهي

وانتظرنا قرونًا ولكننا لا ننام ولا ننتهي

وسألتُ بآخر صوتْ:

- لم تموتوا

على مَرّ هذي القرونْ ؟

- بعد موتك لا يُرتجى أي موتْ

أي موتْ.!

* * *

ووقفتُ، يدور الزمنْ

ويعود الزمنْ

فاعتراني الشجنْ

من أتى بي هنا،

أو أتى بالبدنْ ؟

وانتظرتْ

للأبدْ

للأبدْ

وانتظرتْ

لا أحدْ

لا أحدْ !!

(7)

ـمراياـ

في الغضونْ

سنواتٌ تآنتْ، وأخرىٰ

بقلبي

وليست تئونْ

* * *

الغضونْ

أغصنٌ تتدلىٰ الملامح منها،

وتسقطُ

كي تتعرىٰ بفصل خريفي

جميع الغصونْ

* * *

الغضون ارتعاشة ماء وجوهي إذا

أُلقيتْ في وجوهي حِجار العيونْ

* * *

الغضون رأتها فتاتي طريقًا طويلًا

طويلًا

فلم تكمل السير فيهِ،

وظلت طوال حديث الطعامِ

ترد العيون لسطح الصحونْ.!

* * *

الغضون لغاتٌ بعكس القراءةِ،

في صفحات المرايا

يصير اليمين يسارًا،

ويغدو اليسارُ يمينْ

* * *

الغضون معالم بيتي لكل صديقٍ،

معالم قبري

لكل خئونْ

* * *

مَن أكونْ ؟

الغضون إجابهْ

وكتابهْ

في رحيلي لمن كان بعدي يكونْ.!

(8)

أخي غامضٌ،

غامضٌ
كخطوطٍ بكفِّ وليدْ
ورغمَ تشابهنا في الملامحْ
فإني إذا جمعتنا مصادفةٌ أستعيدْ
ــبرعدة كفي إذا نزلتْ وطنًا في التصافحْــ
ملامحَ وجهي برسمٍ بعيدٍ
بعيدٍ
بعيدْ. !
أمد يدي في لقاه وعيني تمد المسافهْ
ويهبط غيم الشرودْ
ونجلس، نُمضي الدقائق في صمت خشيتنا للسخافهْ
وحين يمازحْ
أغيب بعيني وضحْكي بجوفي
أنا..
لا أريد تذكّر موطن كل المجارحْ
ولكنّ قلبي برجْع أغاني الطفولةِ،
ضرْبات ألوان أحلامنا في الحوائط حين تضيق علينا..يريدْ

بذكرىٰ مشاجرةٍ كل يومٍ عن الدور في النوم جنبَ الجدارِ،

وذكرىٰ التصالحْ

وحين يمازحني من غيابي أعودُ صغيرًا

يحب حكايا الطرافهْ

فأضحكُ

أضحكُ

أو..

لا أعودْ.!

* * *

أخي..جاوز الصمت كل مدًىٰ بيننا،

وتجمد ما بيننا،

واستباحت شروخ الزجاج بنافذةٍ بيننا

كلَّ حبل وريدْ

فننزفُ

ننزفُ

كلَّ السنين المضَافهْ

ونرجع طفلين ناما وحيدين أول مرّهْ

نضم أصابع كفٍّ وكفٍّ،

ونعلم أن الظلام يطول القلوبَ

إذا انفتحتْ في الظلام بكفين ثغرهْ

ونهمس أن العفاريت محض خرافهْ

وأن الحقيقة فجرٌ قريبٌ لنبذل فيه وعودًا

بأنَّا سنقلع عن نومنا في انتصاف النهارِ

لكيلا تطول الليالي فتطوِي انتصافَهْ

وننسىٰ الوعودْ.!

* * *

أخي..ليلنا مستديمٌ،

وحجرتنا اتسعت ما تزالُ،

وذات الخيالات آخذةٌ في الوجودْ

وأعيننا ما تزال كفيفهْ

ولكنّ أمًّا ستذهب كي لا تعودْ

ونبقى لنسكن في ملجإٍ بين بينْ

سنسكنه بين ميلادنا وإلى حجرةٍ كل جدرانها

دون ألوان حلم الخلودْ

سنعرف يُتم الحياةِ،

ويتم المماتِ،

سنعرفه مرتينْ

ونأمل دومًا طلوع صباحٍ جديدْ

* * *

أخي..لا يُهمّْ

فسوف تزيد السدودْ

ولكنْ شبابي سيهزم يأسي ووحدتيَ المستحيلةَ في ذات يومْ

وأغدو وحيدًا

وحيدًا

قويًّا

بدون مزيدْ

بدون مزيدْ.!

(9)

تقاطعات

1_المجنون:

في وجوه المرايا

يرتدي عينه اللامعةْ

ثم يخرجُ،

يطلقها في العيون.شظايا

ثم يخرجُ،

يبصر كل الرجال عيونًا،

وكل النساء عرايا

ثم يخرجُ،

ينظر في وجه طفلٍ فيبصرهُ

ضائعًا

في ملامحه الضائعةْ

ثم يخرج من جلدهِ،

وينزّ، يسيل على جسمهِ

من خلال الخلايا !

بوق سيارةٍ مسرعةْ..

صرْخ طفلٍ يشقّ الظلامَ..

صرير العَجَلْ..

يتّصلْ

ليزيل بدورته عن سواد الليالي،

سواد السكوتِ،

سواد طريق المعابرِ كلَّ البقايا

جميعَ البقايا.!

2_ الطفل:

بين شط مظاهرةٍ،

وجدارْ

كان يجري، يدحرج في ملعبٍ باتساع العيون كراتٍ،

ويلهث بين هتافٍ،

وبين هتافْ

وصياح الجماهير من حولهِ

يستحيل صياح انبهارْ

وهْو يعبر بين الخصوم سريع الخطىٰ

دون أي التفافْ

ثم غامر بالميل، راوغَ في لحظةٍ، دارْ
كي يسدد في شبك الغد حلمًا
وأهدافْ.!

....

ثم فاضت حماسته حين فاض التظاهر فوق الضفافْ
حين فاض الغبارْ
حين ثارْ
والبنادق تقنص كل الضحايا
بكل احترافْ
كان يعدو ويخرق كل الصفوفِ،
ويسبق خطو الكبارْ
أدرك الطفل أن على كل طفلٍ هنا..أن يخافْ
حين غاصت رصاصتهم في حشا القلب حتى القرارْ
وختام المباراة كان ختام المطافْ
والنتيجة: صفرٌ،
وأصفارْ.!

3_المحارب:

على الجبهَهْ

جروحٌ تبعث الرجفَهْ

وفي الجبين رملٌ من مواجهة بلا وَجهَهْ

وفي العينين دمعٌ يملأ الأعوامْ

وجرحٌ ينزف الأيامْ

ويتركها على صحرائه خلفَهْ

وحين الحربِ،

حين سلامْ

يراقب خطوة الموت الذي يخطو إلى الغرفَهْ

وحين ينامْ

يرى في الغيم صفًّا من وجوه رفاقه القتلىٰ

يرى..وجهَهْ

....

وفي الصبح انتهى لقرارْ

سيخرج مرةً في العامْ

ويفتح قلبه للنارْ

من البيت العميق القرّ للشارعْ

لتنهل عينه من ضوئه الساطعْ

بلا طرفَهْ

....

وحين تقاطعتْ كل الشوارع في الفؤاد الجوفْ

ملاها الخوفْ

ملاها للمدىٰ حولَهْ

لتستند الذراع إلى جدارٍ لم يجد سقفَهْ

وكان الموت أحجيةً

أمام الناسِ،

والشرطيِّ، أحجيةً

أمام مباحث الدولَهْ.!

4_الطفلة:

كانت تحوم بصوتها الهفّاف حول المائدهْ

حتى تنال عطيةً من عطف قلبٍ قد ضعُفْ

لكنني أبعدت عيني الشاردهْ

والجفن منها..ما طرفْ

_أعطاك ربي سيدي.

_......................

_ أعطاك حُبًّا سيدي.

_......................

_ أعطاك خيرًا، أعطني

قلبي سيوشك أن يقفْ.

حركتُ عيني الراكدهْ

ورأيتها، ووجدتها سمراء تحمل مقلةً

بيضاء تحمل صورةً

سوداءِ لي

والثانيهْ..

حملتْ دموعًا داميهْ

برقت بما صعق الفؤاد لينخطفْ

فأضاءت القلب المعلق في الظلام بداخلي

ومددت كفي بالطعام لفوهها

فسمعت صوتًا كانشراخٍ في العظامِ،

رأيت عري الأوردهْ

_أعطاك ربي سيدي،

أعطاك حُبًّا سيدي،

أعطاك..لا..

رحماك ربي،

سيدي..فليرحم الروح المعذبَ فيك ربي،

سيدي..فليرحم الرب القلوبَ المقمراتِ بليلةٍ لا تنكسفْ

يا سيدي..يا ليت قلبَك في الليالي مقمرٌ

لا ينكسفْ

....

وسمعت صرخًا في الظلامِ،

سقطتُ فوق المائدهْ

عضوًا يلي عضوًا تقاتلت الشقوقُ بجوفهِ،

والعِرق مني ما نزفْ

....

عيني فقطْ

سقطت لتبصر ما سقطْ

وجرت على أرض العبور، توقفت في المنتصفْ

حملت ظلالًا طفلةً

تعدو، وتدعو الله حين تقابلا في المنعطفْ

وانشد عقد الضوء في عيني لتبصر لحظةً

حتى انفرطْ

ساد السكون لبرهةٍ،

ثم استكانت دون جفنٍ للدموعْ

ثم استكانت في خضوعْ

حين استبانت في انتصاف الليل قطعانَ القططْ !!

_10_

أخبرني بأنه رآهْ

وحين قالْ

لمحت في انعكاس عينيه السما،

ونجمةَ الشمالْ

تدور في فضاهْ

* * *

أخبرني بأنه رآهْ

وغابْ

مشيت خلفه أقبّل الظلالْ

أقبّل الترابْ

وأغسل الشفاهْ

وأغسل الطينَ العَصيَّ بالسحابْ

حين ظننتُها–وقد تناثرتْ– أشلاءَ قالْ:

هنا يعود الخلْق من سنينَ غربةٍ طوالْ

إذا مشى استحال لحمًا وعظامًا وعيونًا للمَدىٰ

يخلقها على سبيل الِارتجالْ !

آثارُه أعضاءُ تهفو لاتحادٍ في خطاهْ !

* * *

في ظلمة الليل التي تجيبنا بالصمت عن كل سؤالْ

كان يُقالْ:
أن الذي يراه يأتيه النعاسْ
ويعبر الخيط المماسْ
يرى وجودًا لا يماثل الوجودَ مغمِضَ العينينْ !
قلْ، واطمئنّْ
فلن أرى شيئًا من الذي تحكيه دون إذنْ
ماذا رأيتَ إذ رأيتَه ؟ ماذا رأيتْ ؟

....

وكان صمتْ
بعد السؤالْ !

* * *

أشار لي
وجدتني بداخلي
أمشي على المياهْ
على المرايا
وألف ألفِ صورةٍ تفر مني
رغم إني..
أصلهنّ، مركزٌ

هنّ الزوايا
طاردتهن..ألف صورةٍ عريانةٍ..طاردتهن في سماهْ
تطوي يدي منهن شيئًا ذاب طيفًا في هواهْ
حتى سمعتُ صيحةً:
-كونوا وحيدًا،
لا انعكاس اليومَ،
ثم هَلِّلُويَا
يا عرايا
هللويا.
أشار لي
فانفتحتْ كل الشروخ في المرايا أسفلي
وجدتني مُلقًى على شطوط مضغتي،
يَقيئني الجسدْ
يَقيئني الأبدْ
يَقيئني شظايا !!
* * *
أخبرني بما رآهْ
كذّبه المجوسْ

فاندلعتْ مخالب اللهيب تملأ الكئوسْ

وتملأ الأفواهْ !

* * *

يا ليته دعاهْ

قبل انتشاري في الشطوطْ

قبل انقسامي..لخيوطْ

وذَوْبتي بكأس ماءٍ ذقتُهُ

فلم أذق طعمًا لهُ

ولم أذق سواهْ !

* * *

يا ليته دعاهْ

لا رَحمٌ يجمعني إلا أصابعَهْ

وأميَ التي تموت راكعَهْ

روحُ رجاءٍ تنطفي بين يديه حينما تقبضها يداهْ

(ليل)

-VII-

دائرة الخَلْق

(فهرس)

1. حفريات الجنس البشري:

لا رحمٌ يجمعني

من حفرياتي

ورفاتي

لكني..

أتكون في ذاتي

بين الضوء وجفني

بيني وسمٰواتي

بيني..بيني

أرفع وجهي، ويديَّ،

وأدخل قلبي،

وأقيم صلاتي

أسْتَخرجني من أوراقي

من بين غضوني

من كفني

من كل خطابٍ لحبيباتي

أصعد من كثبان الرمل الخادعِ،

أتمطّىٰ

أجمعني من شطئان الكون المنسية شطًّا شطا

أشعل مصباح الليل وآتي..

لأسدد ثمني،

وأُعيد حساباتي.!

2. نفخُ الغبار عن منكري الإعصار:

وحدي أبقىٰ

أتكاثر من عشبٍ لنباتٍ وإلى..

من مملكةٍ حتى مملكةٍ أترقّىٰ

حتى آخر إنسٍ يتطورْ

حتى يخرج ما أتصوّرْ..

من صفحاتي.!

3. ما بعد المحرقة:

حتى آخر أثرٍ للإنسان أظل أسيرْ

كي أزرع في آثارهمو خطواتي

أستنبت غصن الأرض الهالك مما يطفو منهم،

وأطيرْ

عكسَ الريحِ،

وعكس الطرقِ،

وعكس مواسم كل الهجراتِ

وأشق قشوري،

أتفرع من بين كسوري،

فوق زجاج نوافذهم،

وزجاج الأعينِ،

وزجاج الشاشاتِ

وأكون النبأ الأولَ،

والنشرةَ،

والمتحدثَ،

وأكون رئيس التحريرْ.!

4. أيام القيامة:

أتذبذبْ

تتذبذب كل الأوتارِ،

وكل الأستارِ،

ويخرج كوكبْ

من أبياتي

أترسّبْ

في قاع اللوحاتِ

وأسير بشط الخلدِ،

وأذهبْ

في موج البحر لأغسل كل شقوقي،

وعروقي،

ومعالم وجهي،

وأعود جديدًا

لا تعرفني أمي

لا يعرفني أمواتي.!

5. لا آلهة ولا بشر:

أعكس نفسي في كل سطوحي

أنشر كل دعاتي

لتعود الأرض بيوتًا للإنسانِ،

وبيتًا للهِ،

ويصبح بيتي متحفَ كل غريبٍ لتلاميذ الفنِّ،

وطلاب التاريخِ،

وعلم أجنة كل الأشياءِ،

وتصبح روحي..

ترشدهم في غرفاتي.!

6. المقدمات:

أخرج من بين ضلوعي،

تتسلق أسوار الليل فروعي،

فأقض مضاجع الاستعمار الليليِّ،

أؤمن فيه ضميرًا،

وألغّم فيّ النيّهْ

أقطع رحمًا يأبىٰ أن يمنحني أيام حياتي

يأبىٰ أن يحمل جثتيَ الحيّةْ

سأظل نديمًا في الليل لمصباحي ووريقاتي

سأظل بلا نومٍ،

وبلا موتٍ

لأخطط للأعمال التخريبيّةْ.!

7. دائرة الخَلق:

سيعود ظلامٌ،

وأعودْ

وحدي

سأعود وحيدًا في جسدي

ويعود الفجر بعيدْ

سيعود العالَمَ كالطفرةْ

من حفريات الإنس، ويصعد في درجات التعقيدْ

حتى يدخلَ أول إنسانٍ أطوارَ التجسيدْ

فأقول نبوءاتي

أحفظ في أوراقي جسم جنين الفكرهْ

ويصير الإنسان ممثل دورٍ من إبداعاتي

وتدور خلائقيَ الدوراتِ اللا منتهياتِ

يبدأ كونٌ، يفنى كونٌ

دون مواتٍ

دون خلودْ

وأظل أكرر تيماتي

وأظل أعودْ.!

(نهار)

كريم الصياد

(يونيه2005-مايو2007م)

الشاعر في سطور

- كريم الصياد.
- من مواليد القاهرة، 30 نوفمبر 1981.
- تخرّج في كلية الآداب–جامعة القاهرة–قسم الفلسفة، ويعمل حاليًا مدرسًا مساعدًا بالقسم، ويدرس حاليًا للدكتوراه بجامعة كولن بألمانيا الاتحادية.
- عضو مؤسس بجماعة "**جُذور**" الفلسفية، وأول رئيس لها.
- عضو الجمعية الفلسفية المصرية.
- عضو اتحاد كتاب مصر.
- صدر له:

1. **الأَمْر**: ديوان شعر، دار اكتب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2007.
2. **منهجٌ تربويٌّ مقترَحٌ لِفاوست**: ديوان شعر، دار شمس للنشر والإعلام، القاهرة، 2009.
3. **ن= ∞ ف**: رواية، دار شمس للنشر والإعلام، القاهرة، 2010.
4. **الرجال–Y**: مجموعة قصصية، دار شمس للنشر والإعلام، القاهرة، 2010.
5. **صِدامُ الحفريات**: مجموعة روائية، دار اكتب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2012.
6. **اثنتا عشرة عينًا على مَشهد التسلُّط**: كتاب في الفلسفة، (تحرير ومشاركة)، منشورات الجمعية الفلسفية المصرية، دار الهاني للطباعة والنشر، القاهرة، 2008.
7. **النظام المتغير لأوسكار لوفل تريجز (ترجمة)**، مركز جامعة القاهرة للغات الأجنبية والترجمة التخصصية، القاهرة، 2012.
8. **مقدمة إلى مبادئ الأخلاق والتشريع لجيريمي بنتام (ترجمة)**، مركز جامعة القاهرة للغات الأجنبية والترجمة التخصصية، القاهرة، 2013.

9. **عدد من الأبحاث الفلسفية بكتب ودوريات علمية محكّمة.**

- له تحت الطبع:
  - نظرية الحق، دراسة في فلسفة القانون والحق الإسلامية (رسالة الماجستير في الأصل).

البريد الإلكتروني: Radical_kareem@yahoo.com



يفتُرُ الماء في مضغتي بالضياعْ
وحديَ الكونُ حَوْلِي يكونْ
ويكونْ
وأنا أتفتّحُ في الظلمات كمثل العيونْ
وتكونْ
لي..عيونْ
أنتشِي
لي..عيونْ
يتفتّح بالنقش والضوءِ في كُتلتي الكونُ مثلَ انطباعْ
أتكوّنُ بالكون أمْ يتكوّنُ
هذا النزاعْ
يعتريني غُضيّا غُضيّا من الماءِ حتى الشطوطِ
من الضوءِ حتى شروق المَشاهِدِ
من جفْن عينٍ يُفتّحهُ النقشُ في الكتل الصامتاتِ
ومن كل شيءٍ إلى أن يكونْ